جـــون كـارتـــر
من المريخ

إدجار رايس بوروز

- المؤلف: إدجار رايس بوروز
- العنوان : جون كارتر من المريخ
- ترجمة: شهرت العالم
- الطبعة: الأولى 2021
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠٢٠ / ١٣٩٨٨
الترقيم الدولي : ISBN
978 - 977-765 - 274 - 2

جميع الحقوق محفوظة؛ لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال؛ دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

إدجار رايس بوروز

جون كارتر من المريخ

رواية

ترجمة

شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

بوروز، إدجار رايس.

إدجار رايس بوروز : جون كارتر من المريخ

ترجمة: شهرت العالم

ط1 القاهرة – دار آفاق للنشر والتوزيع – 2021

224 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 13988 / 2020

الترقيم الدولي 2 – 274 – 765 – 977 – 978

1 – الأدباء (روايات)

2 – بوروز، إدجار رايس

تنويه:

هذا هو الكتاب الحادي عشر والأخير من سلسلة المريخ للكاتب المُبدع إدجار رايس بوروز.

ويضم الكتاب روايتين قصيرتين:

- **جون كارتر وعملاق المريخ** – *John Carter and the Giant of Mars*، **نُشرت في يناير ١٩٤١ في** *Amazing Stories magazine*.
- **رجال الهياكل العظمية في كوكب المُشترى** – *Skeleton Men of Jupiter* ، **نُشرت في يوليو عام ١٩٤٣ في** *Amazing Stories magazine*.

وصدرت الروايتان في مجلد واحد يوليو ١٩٦٤، من دار نشر *Canaveral Press*.

الرواية الأولى

جون كارتر وعملاق المريخ

الفصل (١)

الاختطاف

نظر قمرا المريخ إلى أسفل، إلى حيوان الثوات[١] المريخي العملاق وهو يركض بصمت على الأرض الطحلبية الناعمة. حَمَلت ثماني أرجل قوية هذا المخلوق في خطوات كبيرة قافزة.

تحرك الوحش الجبار في مساره، حيث كان يوجهه تخاطريًّا شخصان يجلسان فوق سرج ضخم مربوط على ظهره العريض.

---

(١) الثوات: حيوان مريخي يبلغ ارتفاعه عشر أقدام، ولديه أربع أرجل على كل جانب، وذيله عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري؛ وفمه مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم. وهو خال تمامًا من الشَّعر، ولون بشرته هو الرمادي الذي تشوبه الزُّرقة. أما بطنه فلونه أبيض، ويتدرج لون سيقانه بظلال من لون الكتفين فالوركين وصولًا إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامه. والأقدام نفسها شديدة الامتلاء وبلا أظافر، مما يسهم أيضًا في تحركه دون ضوضاء؛ وهو الأمر الذي يُشكل، بالإضافة إلى تعدد سيقانه، سمة مميزة لحيوانات المريخ – *http://bar-soom.wikia.com/wiki/Thoat* – المترجمة.

اعتادت ديجاه ثوريس[٢]، أميرة هيليوم[٣]، أن تمتطي الثوات أسبوعيًّا لتتفقد جزءًا من مملكة جَدها الزراعية والصناعية الشاسعة.

تمر رحلتها في الأراضي الزراعية خلال الغابة الوحيدة في هيليوم؛ حيث تنمو الأشجار الضخمة التي توفر الكثير من إمدادات الخشب إلى بلدان المريخ المتحضرة.

كان الفجر يصعد إلى سماء المريخ الشرقية، ولا تزال الغابة مظلمة ورطبة بندى المساء. أشعر ظلام الغابة ديجاه ثوريس بالامتنان لوجود رفيقها الذي يركب أمامها على السرج. استقرت يداها على كتفيه البرونزيتين العريضتين، ومنحها ملمس عضلاته الملساء المرنة شعورًا بالثقة. كان يضع إحدى يديه على المقبض المرصع بالجواهر لسيفه الطويل الكبير، ويجلس على السرج مستقيمًا؛ إنه أقوى محارب على المريخ.

أدار جون كارتر[٤] بصره نحو وجه أميرته الجميل.

سألها: «هل أنتِ خائفة، يا ديجاه ثوريس؟».

---

(٢) ديجاه ثوريس: أميرة مملكة هيليوم، وهي زوجة جون كارتر (القادم من كوكب الأرض) – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Dejah_Thoris* – المترجمة.

(٣) هيليوم: إحدى الممالك الكبرى في برسوم/ المريخ، وهي تضم مدينتين توأمًا رئيستين: هيليوم الكبرى وهيليوم الصغرى، وهما معًا بمثابة عاصمة المملكة – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Helium* – المترجمة.

(٤) جون كارتر: من فرجينيا، وهو أول رجل من كوكب الأرض يصل إلى المريخ، وأصبح أحد أعظم أمراء الحرب في تاريخ المريخ – *https://barsoom.fandom.com/wiki/John_Carter* – المترجمة.

ابتسمت ديجاه ثوريس قائلة: «لا أخاف على الإطلاق وأنا مع قائدي».

– وماذا عن وحوش الغابة، وزواحف الأربوك[٥]؟

– لقد قضى جَدي عليها جميعًا. كما قتل حارسي، في الرحلة الأخيرة، آخر أحد زواحف الأشجار الوحيدة التي رأيتها في حياتي.

وفجأة لهثت ديجاه ثوريس، وتشبثت دون جدوى بجون كارتر لاستعادة توازنها؛ فقد ترنح الثوات الجبار بقوة وسقط على الأرض الطحلبية. قفز الراكبان فوق رأسه، ووقفا على قدميهما في لحظة. لكن الثوات ظل بلا حراك.

سحب كارتر سيفه الطويل من غمده، وأشار إلى ديجاه ثوريس أن تبقى خلفه.

تحطم صمت الغابة فجأة بسبب زئير غريب فوقهم مباشرة.

صرخت ديجاه ثوريس: «الأربوك!».

انطلق ساكن الشجرة الزاحف مباشرة نحو المخلوقين البشريين. رفع كارتر سيفه وهو يهزه بسرعة إلى جانب واحد، مما لفت انتباه الوحش بعيدًا عن ديجاه ثوريس التي جثمت وراء الثوات الساقط على الأرض.

---

(٥) أربوك: هو نوع من الزواحف التي تعيش في الأشجار، وموطنها غابات هيليوم. ولهذه الزواحف مخالب وأنياب، ويمتلئ جلدها بالقرون – *https://barsoom.fandom.com/wiki/Arbok* – المترجمة.

نفذت أول طعنة وجَّهها رجل كوكب الأرض إلى شريحة من جلد الوحش الخارجي دون ضرر. لكن مخلبًا ضخمًا أفقد كارتر توازنه، ووجد نفسه ملقى على الأرض وأنياب هائلة تمسك بحلقه.

صاح بصوت أجشّ: «ديجاه ثوريس، أحضري البندقية الذرية المُعلقة على ظهر الثوات»، لكن الفتاة لم ترد.

استجمع كارتر كل قوته الهائلة ودفع بسيفه إلى رقبة الأربوك. ارتجف المخلوق، وتدفق من الجرح تيار من الدماء. تملص الرجل من أسفل الجثة ووقف على قدميه.

– ديجاه ثوريس! ديجاه ثوريس!

بحث كارتر باضطراب، الأرض والأشجار المحيطة بالثوات الميت والأربوك المقتول، ولم يجد أي أثر لديجاه ثوريس. لقد اختفت تمامًا.

لمع شعاع من ضوء الشمس المشرقة خلال أوراق الشجر على شيء عند قدمي رجل كوكب الأرض. التقط كارتر قذيفة كبيرة، انطلقت منذ فترة وجيزة من بندقية ذرية صامتة.

ذهب إلى الثوات الميت، وفحص أغطية السرج. وجد أن البندقية الذرية التي طلب من ديجاه ثوريس إطلاق نيرانها لا تزال داخل غطائها الجلدي!

انحنى رجل كوكب الأرض بجانب رأس الثوات الميت، ورأى

ثقبًا دمويًّا صغيرًا في جمجمته. لقد كانت تلك الطلقة، فضلًا عن هجوم الأربوك، جزءًا من خطة مدروسة لقتله واختطاف ديجاه ثوريس.

ولكن كيف اختفت ديجاه ثوريس تمامًا بهذه السرعة؟

بدا كارتر متجهمًا في رحلة العودة من الغابة، في اتجاه هيليوم.

وعند الظهيرة، كان رجل كوكب الأرض يجلس في قاعة خاصة مع تاردوس مورس، جيداك[٦] هيليوم وجَد ديجاه ثوريس.

كان الجيداك العجوز قلقًا. ودفع قطعة جلدية خشنة في يد جون كارتر، منقوش عليها كتابة وقحة وفظة، استشاط كارتر غضبًا عندما قرأها:

«أنا، بيو موجل، أقوى حاكم على المريخ، قررت تولي زمام صناعة الحديد في هيليوم. فالحديد سوف يزودني بكل السفن التي أحتاجها لحماية هيليوم ومدن برسوم[٧] الأخرى من أي غزو. وإذا لم تقم بإجلاء جميع العاملين لديك من مناجم ومصانع الحديد خلال ثلاثة أيام، سوف أبدأ في إرسال أصابع أميرة هيليوم المَلَكية. أسرع؛ لأنني قد أقرر إرسال لسانها، الذي يتفوه كثيرًا باسم جون كارتر. تذكر، يجب أن تطيع بيو موجل؛ لأنه يتمتع بقوة كلية».

---

(٦) جيداك: ما يعادل الإمبراطور – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Jeddak* – المترجمة.

(٧) برسوم: كوكب يسميه أهل كوكب الأرض بالمريخ – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Barsoom* – المترجمة.

غرز تاردوس مورس أظافره في راحة يديه، وقال: «مَن هذا المغرور الذي يطلق على نفسه أقوى حاكم في المريخ؟».

نظر كارتر بعناية إلى الرسالة.

وقال: «لا بد أن لديه جواسيس هنا. كان بيو موجل يعرف أنني سأغادر هذا الصباح مع ديجاه ثوريس في جولة تفقدية».

قال تاردوس مورس متذمرًا: «لا بد أن هناك جاسوسًا؛ فقد وجدت هذه الرسالة مُعلقة على ستائر قاعتي الخاصة. ولكن، ماذا يمكننا أن نفعل؟ ديجاه ثوريس هي الشيء الوحيد الباقي الذي أحبه في هذه الحياة ...»، وهنا تقطَّع صوته.

– هيليوم كلها تحبها، يا تاردوس مورس، وسنموت جميعًا قبل أن نعود إليك من دونها.

سار كارتر إلى شاشة تعمل باللمس، وضغط على زر.

تحدث بسرعة مع وصيف: «استدع كانتوس كان[٨] وتارس تاركاس[٩]، وقل لهما أن يأتيا إلى هنا في الحال».

وبعد فترة وجيزة، كان المحارب الأخضر الضخم والرجل

---

(٨) كانتوس كان: مريخي أحمر البشرة، برتبة جدوار في بحرية هيليوم – وهي أعلى رتبة عسكرية في برسوم – ومن أفضل أصدقاء جون كارتر – *https://barsoom.fandom.com/wiki/Kantos_Kan* – المترجمة.

(٩) تارس تاركاس: مريخي أخضر البشرة، وقائد جماعة ثارك، من المريخيين الخُضر، وحليف جون كارتر – *https://barsoom.fandom.com/wiki/Tars_Tarkas* – المترجمة.

الأحمر النحيل في القاعة.

أمسك الثاركي الأخضر تارس تاركاس سيفه الضخم بيديه الأربع القوية وقال: «من حسن الحظ يا جون كارتر، أنني هنا في هيليوم في زيارتي الأسبوعية من السهول». وكان جسمه الضخم العملاق ينحني بمهابة فوق الآخرين في القاعة.

وضع كانتوس كان يده على كتف جون كارتر.

وقال الصديق النبيل: «كنت في طريقي إلى القصر عندما تلقيت استدعاءك. لقد انتشر في هيليوم بالفعل خبر اختطاف أميرتنا، وجئت على الفور لأقدم لك سيفي وقلبي».

قال تارس تاركاس: «لم يسبق لي أن سمعت عن هذا المُسمى بيو موجل، هل هو رجل أخضر؟».

أجاب تاردوس مورس متذمرًا: «إنه على الأرجح مجرم حقير خارج عن القانون، أو مجرم يتسم بغرور مفرط».

رفع كارتر عينيه عن رسالة الفدية.

وقال: «لا، يا تاردوس مورس، أعتقد أنه أكثر شراسة مما تتخيل. وهو ذكي أيضًا. ولا بد أن لديه سفينة فضائية ذات مُحرك صامت، بحيث أمكنه اختطاف ديجاه ثوريس والابتعاد بها بسرعة - أو ربما لديه بعض الطيور الضخمة! إن رجلًا شديد القوة، على استعداد لدعم تهديداته، هو فقط مَن يمكنه اختطاف أميرة هيليوم، بل ويأمل أيضًا في

السيطرة على الأشغال الحديدية الهائلة».

«وربما توجد لديه موارد ضخمة. غير أنه من المشكوك فيه أن لديه أي نية لإعادة الأميرة، وإلا كان سيدرج المزيد من التفاصيل في رسالة الفدية».

وفجأةً ضاقت عينا رجل كوكب الأرض الثاقبة؛ فقد تحرك ظل في الغرفة المجاورة.

وبقفزة قوية وصل كارتر إلى المدخل المقوس. وذابت شخصية خفية في الممر شبه المظلم، وكارتر وراءه عن قرب.

توقف الغريب عندما أدرك أن الهروب مستحيل، وركع على ركبة واحدة مع توجيه بندقية الأشعة نحو رأس رجل كوكب الأرض المُقتَرِب. شاهد كارتر إصبع الغريب يتحول إلى اللون الأبيض وهو يضغط على الزناد.

«كارتر!»، صاح كانتوس كان، «ألق بنفسك على الأرض».

انخفض كارتر بسرعة الضوء منبطحًا على الأرض. انطلق نصل طويل مُحدِثًا أزيزًا فوق رأسه، ودفن نفسه حتى غمده في قلب الرجل الغريب.

تمتم جون كارتر وهو يقف على قدميه: «إنه أحد جواسيس بيو موجل. شكرًا لك يا كانتوس كان».

فتش كانتوس كان الجثة، لكنه لم يجد أي دليل على هوية الرجل.

جلس الرجال ثانية في القاعة لمواصلة العمل بحزم صارم.

كانوا ينحنون فوق خريطة ضخمة لبرسوم، عندما تحدث كارتر:

– لقد أصبحت المدن التي تمتد لأميال حول هيليوم مدنًا صديقة الآن. كانوا سيحذروننا من بيو موجل إذا عرفوا عنه أي شيء. ربما استولى على إحدى المدن المهجورة في قاع البحر الميت، التي تقع شرق هيليوم أو غربها. وهذا يعني أن علينا البحث في آلاف الأميال، لكننا سنبحث في كل ميل.

جلس كارتر على طاولة، وشرح خطته:

– تارس تاركاس، اتجِه شرقًا واتصل بزعماء جميع قبائلك. وسأغطي الغرب بسفن الاستطلاع الفضائي. أما كانتوس كان، فسوف يظل في هيليوم كمسؤول اتصال. كُن جاهزًا ليلًا ونهارًا بالسلاح الجوي بأكمله. ومَن يكتشف مكان ديجاه ثوريس أولًا، عليه إبلاغ موقعه إلى كانتوس كان بطبيعة الحال؛ إذ يمكننا التواصل مع بعضنا من خلال كانتوس كان فقط. وسيكون طول الموجة ثابتًا وسريًّا، ٢٠٠٠ كيلو سيكل.

نظر تاردوس مورس إلى رجل كوكب الأرض.

قال: «كل موارد مملكتي تحت أمرك يا جون كارتر».

أجاب جون كارتر: «سنغادر في الحال يا صاحب الجلالة. وسوف نجد ديجاه ثوريس، إذا كانت في قيد الحياة على برسوم».

الفصل (٢)

البحث

وفي غضون ثلاث ساعات، كان جون كارتر يقف على سطح المطار الملكي لإعطاء تعليمات اللحظة الأخيرة لأسطول يضم ٢٤ طائرة استطلاع سريعة تسع كل منها رجلًا واحدًا.

«على كل منكم تغطية جميع الأراضي في منطقته بدقة. وإذا اكتشفتم أي شيء، لا تحاولوا التعامل معه بأنفسكم؛ بل عليكم إبلاغ كانتوس كان على الفور» نظر كارتر بعناية إلى الوجوه المتجهمة أمامه، وعرف أنهم سوف يطيعونه.

استدار كارتر وهو يشير بإبهامه من فوق كتفه نحو السفن قائلًا: «لنتحرك».

تفرق الرجال، وسرعان ما كانت طائراتهم تسرع مبتعدة عن هيليوم.

ظل كارتر على السطح لفترة كافية لتدقيق الاتصال مع كانتوس كان. قام بتعديل سماعات الأذن حول رأسه، ثم ضبط المؤشر عند ٢٠٠٠ كيلو سيكل. وعلى الفور، بدأت تأتي نقاط وشرطات رد كانتوس كان.

– إشارتك تأتي بشكل مثالي. يغادر تارس تاركاس المدينة الآن. ويحشد الأسطول الجوي قواه. والقوات الجوية بأكملها على أهبة الاستعداد لمساعدتك. انتهى بث كانتوس كان.

هبط الليل وكارتر يبحر على مسافة حوالي ٥٠٠ ميل من هيليوم. كان شديد الإرهاق، ولم تثمر عمليات البحث في العديد من المدن والقنوات المُدَمَّرة عن شيء. أثار انتباهه ثانية أزيز السماعة الصغيرة.

– يبدأ بث كانتوس كان. نظّم تارس تاركاس عملية بحث برية كاملة، امتدت من الشرق إلى الجنوب. لم يرد بث من طائرات الاستطلاع الجوي الأخرى من الغرب إلى الجنوب. سوف نبلغك بأي أخبار قد تصل. نحن في انتظار الأوامر، وعلى أهبة الاستعداد. انتهى البث.

– لا توجد أوامر. لا توجد أخبار. انتهى بث كارتر.

ترك كارتر ضجرًا السفينة تنجرف. ما من حاجة للنظر إلى أن يظهر القمران. وسقط رجل كوكب الأرض في نوم متقطع.

عاد البث عند منتصف الليل، مما أيقظ كارتر. يبث كانتوس كان مجددًا، وبحماس.

«تارس تاركاس وجد ديجاه ثوريس. وهي محتجزة في مدينة مهجورة على ضفاف البحر الميت في كورفاس». أعطى كانتوس كان خطَّي العرض والطول للموقع بدقة.

– تعليمات جديدة من تاركس تاركاس؛ يطلب أكبر قدر من السرية في تحركاتك. سيكون عند الجسر الرئيس المؤدي إلى المدينة. انتهى بث كانتوس كان. هيا، يا جون كارتر.

انتهى بث جون كارتر مع كانتوس كان، وحثه على البقاء دائمًا على أهبة الاستعداد بأسطول هيليوم الجوي. قام الآن بضبط البوصلة الدوّارة – وهي جهاز يُوجهُه تلقائيًّا إلى وجهته.

وبعد عدة ساعات، كان رجل كوكب الأرض يحلق فوق مجموعة منخفضة من التلال ورأى أسفله مدينة قديمة على ضفاف البحر الميت. دار بطائرته وهبط عند الجسر، حيث تقضي التعليمات بمقابلة تارس تاركاس. امتلأ أخدود جاف أسفله بظلال سوداء طويلة.

خرج كارتر من طائرته، شق طريقه، متتبعًا الظلال، إلى الأنقاض الشاهقة في المدينة. كانت هادئة جدًّا، لدرجة أن خفاشًا وحيدًا يحلق بسرعة خارجًا من برج بدا كأنه سفينة تسقط.

أين تارس تاركاس؟ يجب أن يظهر الرجل الأخضر عند الجسر.

سار كارتر من مدخل المدينة إلى الظل الأسود لسورها وانتظر. ما من صوت يكسر سكون الليل الهادئ. المدينة مثل القبر. يدور قمرا المريخ السريعان، ديموس وفوبوس، عبر السماء.

توقف كارتر عن التنفس كي ينصت. تناهى إلى أذنيه الحادتين صوت خافت لخطوات – خطوات غريبة مختلطة تقترب.

شيء ما كان قادمًا على طول السور. توتر رجل كوكب الأرض، واستعد للقفز إلى سفينته. يمكنه الآن سماع خطوات أخرى حوله. هناك شيء داخل الأنقاض يتحرك خلال الصخور المتساقطة.

ثم سقط جسم ثقيل هائل على جون كارتر من أعلى السور. أحرق تنفسٌ حارٌّ وكريه الرائحة رقبته، وخنقته أذرع ضخمة وفظة التفت حوله بشراسة.

ألقى به الشيء على الأرض المغطاة بالزلط الخشن. أمسكت أيد ضخمة بحلقِه. أدار كارتر رأسه، ورأى فوقه وجه قرد أبيض هائل.

كان ثلاثة من زملاء المخلوق يحومون حول كارتر، ويسعون جاهدين إلى ربط قدميه بالحبال؛ بينما خنقه الآخر بأياديه الأربع الجبارة إلى حد أفقده الشعور.

شقت أقدام كارتر طريقها متلوية تحت بطن القرد الذي يصارعه. أرسلت دفعة جبارة المخلوق إلى الهواء ليسقط، وهو يئن وعاجز، على الأرض.

نهض كارتر على قدميه، مثل بانث[١٠] مُحاصَر، جاثمًا على السور وممتشقًا سيفه، في انتظار الثلاثي المُهاجِم.

(١٠) البانث: أسد المريخ الضخم ذو الثماني أرجل – محرر الطبعة الإنجليزية.

وحيوانات البانث هي وحوش جبارة، بطول ثماني أقدام بالكامل، وشعر أبيض طويل يغطي أجسادهم الهائلة. ويوجد لدى كل حيوان أربع أذرع عضلية تنتهي بأيدٍ هائلة مُسلحة بمخالب ملتوية وحادة. كانوا يكشفون عن أنيابهم ويهدرون بشراسة وهم يقتربون من رجل كوكب الأرض.

ربض كارتر منخفضًا؛ وعندما انطلقت الوحوش، حملته عضلاته المنتمية إلى كوكب الأرض في قفزة عالية في الهواء فوق رؤوسهم. طعن كارتر بسيفه الثقيل، مدعومًا بكل قوة عضلاته، رأس أحد القرود؛ فانشقت جمجمته مفتوحة على مصراعيها.

ضرب كارتر الأرض بقدمه، واستدار على أهبة الاستعداد عندما هاجمه ثانية القردان المتبقيان. صدرت صرخة بشعة مخيفة؛ حيث غرق سيف كارتر هذه المرة في عمق قلب الوحش.

أخرج رجل كوكب الأرض سيفه من جسد الوحش، الذي سقط على الأرض.

استدار الآن الوحش الأخير وتراجع خائفًا، وكانت عيناه تلمعان وهو ينظر نحو كارتر في الظلام، ثم هرب في ممر طويل بالمبنى المجاور. كاد رجل كوكب الأرض أن يُقسِم أنه سمع اسمه يصدر من حنجرة القرد، مختلطًا بهديره الغاضب، أثناء فراره.

وما إن استعاد كارتر سيفه، حتى شعر بهواء يندفع فوق رأسه. يقترب منه شيء، على شكل حركة ضبابية.

شعر الآن بأن شيئًا أمسكه من خصره، ثم ألقاه خمسين قدمًا في الهواء. وعلى الرغم من أن كارتر كان يكافح ليتنفس، فقد تمكن من الإمساك بالشيء الذي يطوق جسده. وجد جلده مليئًا بالقرون مثل جلد الأربوك؛ وشعره طويلًا مثل جذور الشجر، ويخرج من القشور ذات القرون.

لقد كانت يدًا عملاقة!

* * *

الفصل (٣)

جووج العملاق

وجد جون كارتر نفسه ينظر إلى وجه وحشي.

بلغ طول رأسه خمس عشرة قدمًا بالكامل، من قمة الرأس الأشعث إلى أسفل الذقن المُشعِر.

لقد ظهر وحش جديد في الحياة على سطح المريخ. ومقارنة بالمباني المجاورة، لا بد أن طول المخلوق يبلغ مائة وثلاثين قدمًا!

رفع العملاق كارتر عاليًا فوق رأسه وهزه؛ ثم دفع وجهه إلى الخلف. هدرت ضحكات بشعة جوفاء من شفتيه المتدليتين، وكشفت عن أسنان تشبه الصخور الجبلية الصغيرة.

كان يرتدي سترة فضفاضة، ذات حجم غير مناسب، تتدلى في طيات فضفاضة مهلهلة على وركيه، بينما تتيح لذراعيه وساقيه حرية الحركة.

ضرب بيده الأخرى صدره الجبار.

وظل يردد، وهو يواصل الضحك وهز ضحيته العاجزة: «أنا جووج. أنا جووج. يمكنني أن أقتل! يمكنني أن أقتل!».

بدأ جووج العملاق يسير. تحرك بعناية على طول الشوارع القاحلة، وكان يدور أحيانًا حول أي مبنى شاهق الارتفاع، يحول ارتفاعه دون أن يخطو فوقه.

توقف أخيرًا أمام قصر مُتهدم جزئيًّا. لم تتمكن ويلات الزمن سوى من تخفيف جماله. زحفت كتل ضخمة من الطحالب والكرمات خلال البناء، وأخفت الجدران المُحطَّمة. ألقى جووج العملاق جون كارتر، بدفعة مفاجئة، داخل نافذة عالية في برج القصر.

استرخى كارتر تمامًا عندما شعر بقبضة العملاق تتركه. ضرب الأرض الحجرية وهو يدور دورة طويلة، حاميًا رأسه بذراعيه. أخذ رجل كوكب الأرض ينصت جيدًا وهو يستعيد أنفاسه، بينما يرقد في الظلام العميق للمكان الذي سقط فيه.

لم يتناهَ إلى سمعه أي صوت لبعض الوقت. ثم بدأ يسمع تنفس جووج الكثيف خارج نافذته. ومرة أخرى استجابت عضلات كارتر، المنتمية لكوكب الأرض، إلى جاذبية المريخ الأقل، وحملته قفزًا لمسافة عشرين قدمًا إلى عتبة النافذة الضيقة. وهنا التصق بالنافذة ونظر ثانية إلى وجه العملاق البشع المُشعِر.

كان العملاق يتمتم: «أنا جووج. أنا جووج. يمكنني أن أقتل!

يمكنني أن أقتل!». اجتاحت أنفاس العملاق وجه كارتر مثل انفجار فرن كبريتي. لا يوجد مهرب من تلك النافذة!

هبط كارتر ثانية إلى أرضية زنزانته. وبدأ يتجول ببطء في الغرفة، متلمسًا طريقه على طول ألواح الإرسايت[١١] المصقولة التي تُشكل الجدار. كانت الأرضية مرصوفة بالزلط المليء بالحطام. سمع كارتر هسهسة شريرة لعنكبوت مريخي يفرد شبكته.

لا توجد طريقة يعرف بها كم مضى من الوقت وهو يتلمس طريقه حول الجدران. بدت كأنها ساعات؛ ثم تحطم الصمت المميت فجأةً، من جراء صرخة امرأة في مكان ما في المبنى.

شعر جون كارتر بقشعريرة باردة تسري في جسمه. هل هذا هو صوت ديجاه ثوريس؟

قفز جون كارتر مرة أخرى نحو الضوء الخافت الذي يحدد حافة النافذة. نظر إلى الأسفل بحذر. رأى جووج يرقد على البلاط أدناه، ويتنفس كما لو كان نائمًا. يرتفع صدره الكبير خمس أقدام مع كل نفس.

بدأ يتقدم بهدوء تدريجيًّا على الحافة التي تمتد على طول النافذة وتختفي في ظل برج مجاور. آه لو بإمكانه الوصول إلى هذا الظل دون إيقاظ جووج!

---

(١١) حجر الإرسايت: نوع من الحجر، جميل وملون، شائع في المريخ، ويستخدم في المباني والأثاث – *https://barsoom.fandom.com/wiki/Ersite* – المترجمة.

كاد أن يصل إلى هدفه، عندما زأر جووج بصوت أجش.

فتح عينًا كبيرة الآن ونظر إلى أعلى، ثم أمسك بكارتر من ساقه وألقى به ثانية إلى نافذة البرج.

زحف كارتر مرهَقًا إلى جدار زنزانته المظلمة، ومال عليه. طاردت تلك الصرخة ذاكرته؛ فقد كانت تعذبه فكرة وجود ديجاه ثوريس في خطر.

وأين تارس تاركاس؟ لا بد أن بيو موجل قبض عليه أيضًا. نهض كارتر فجأةً على قدميه.

تحرك أحد ألواح الإرسايت خلف ظهره! انتظر، ولم يخرج منه أي كائن. اقترب من اللوح الحجري بحذر ودفعه بقدمه. تحرك اللوح قليلًا إلى الداخل. دفع كارتر الحجر الآن بكل قوته الهائلة. ظل يحركه بوصة بوصة إلى أن أوجد أخيرًا مساحة يمكنه ضغط جسمه والمرور خلالها.

لا يزال الظلام دامسًا، لكن أصابعه التي تتحسس الجدار كشفت أنه في ممر بين جدارين. ربما هذا هو طريق خروجه من سجنه!

أعاد الحجر بعناية إلى موقعه، دون ترك أي أثر لاختفائه من الغرفة. كان الممر الذي وجد نفسه فيه شديد الانخفاض، لدرجة أنه اضطر إلى الزحف على يديه وركبتيه. كما كانت رائحة الممر المنخفض كريهة، كما لو أنه لم يُستخدَم منذ فترة طويلة.

زاد انحدار النفق تدريجيًّا إلى أسفل. وتفرعت من النفق الرئيس العديد من الممرات الجانبية الصغيرة. لا يوجد ضوء، ولا ضوضاء. بدأت فقط رائحة نفاذة ثقيلة الوطأة تملأ الهواء.

بدأ يظهر الآن ضوء خافت. أدرك رجل كوكب الأرض أنه لا بد في كهوف تحت القصر، وأن سبب الضوء الخافت يرجع إلى توهج الراديوم الفوسفوري الذي يُستخدم في جميع أنحاء المريخ للإشعاع.

وفجأةً، اكتشف رجل كوكب الأرض مصدر هذا الضوء الخافت. كان يلمع خلال شق في الجدار أمامه. دفع جون كارتر جانبًا حجرًا فضفاضًا آخر، وزحف إلى غرفة. سحب أنفاسه بحدة.

شاهد في مواجهته محاربًا يمتشق سيفه، وكان رأس السيف بالكاد ما يلامس صدر رجل كوكب الأرض!

قفز جون كارتر بسرعة البرق، وسحب سيفه، وضرب سلاح الشخص الآخر.

سقطت ذراع الرجل الأحمر من جسده إلى الأرض، وذابت متحولة إلى تراب. وقع السيف القديم مصلصلًا على الأرض.

أدرك كارتر الآن أن المحارب كان يميل على الجدار، متوازنًا على نحو غير مستقر لعصور. امتدت ذراعه الممسكة بالسيف أمامه، حيث تصلّب ميتًا منذ فترة طويلة. أدى سقوط الذراع إلى افتقاد الجسم للتوازن؛ فسقط على الأرض، وذاب في كومة من التراب تشبه الرماد!

ضمت غرفة مجاورة عددًا من النساء والفتيات الجميلات، المُقيدات معًا بسلاسل في أطواق من الذهب حول أعناقهنّ. جلسن على طاولة يأكلن، ولا يزال الطعام أمامهن. لقد كُن سجينات؛ إماء لحكام المدينة التي ماتت منذ زمن طويل. وقد حافظ الهواء الجاف الساكن، إضافة إلى بعض الإفرازات الغازية من الجدران والزنازين، على جمالهن عبر العصور.

سار رجل كوكب الأرض مسافة قصيرة عند ركن عفن، وأدرك عندئذ وجود شيء يكشط خلفه. دار إلى ممر جانبي ونظر إلى الوراء. كانت أعين براقة تتجه نحوه، وتبعته وهو يتراجع إلى النفق.

تكرر الكشط ثانية، وإنما على بُعد هذه المرة أمامه في النفق. لمعت أعين أخرى أمامه.

ركض جون كارتر إلى الأمام، ورأس سيفه ممتد. تراجعت الأعين الأمامية، بينما بدأت الأعين التي تقع خلفه تُغلَق.

أصبح الظلام حالكًا الآن، لكن رجل كوكب الأرض كان يرى أمامه بصيصًا من ضوء باهت يتسرب إلى النفق.

ركض نحو الضوء. إن قتال أشياء يمكنك رؤيتها أسهل بكثير من التعثر في ممر مظلم.

دخل كارتر الغرفة، ووقف في الضوء الخافت وجهًا لوجه أمام المخلوق الذي رأى عينيه أمامه في النفق. كان نوعًا من الفئران المريخية الضخمة ذات ثلاث أرجل!

كشفت زمجرة شريرة عن أنيابه الصفراء البشعة، وهو يتراجع بطيئًا بعيدًا عن كارتر إلى الطرف البعيد من الغرفة الصغيرة.

جاء الجرذ الآخر خلفه الآن، وبدأ الوحشان معًا في إغلاق الطريق أمام رجل كوكب الأرض.

ابتسم كارتر بقتامة وهو يقبض على سيفه.

تمتم وهو يؤرجح سيفه أمام المخلوق الأقرب: «أنا الجرذ المحاصر الآن، كما يقول المَثل».

تجنب المخلوق الضربة، وهُرع نحوه.

بيد أن سيف رجل كوكب الأرض كان جاهزًا. اندفع الجرذ المُهاجِم بقوة نحو رأس السيف المُنتظِر.

حملت قوة دفع الوحش بكارتر إلى الخلف خمس أقدام؛ لكنه ظل محتفظًا بقبضته على سيفه، الذي اخترق رأسه كتف الحيوان ووصل إلى قلبه الوحشي.

عندما أخرج كارتر سيفه من جسد الوحش واستدار لمواجهة خصمه الآخر، أفلت من شفتيه تعبير عن الفزع.

كانت الغرفة نصف مليئة بالجرذان!

دخلت تلك المخلوقات من فتحة أخرى، وشكلت دائرة حوله، انتظارًا لتهاجمه.

قاتل كارتر بشراسة من أجل حياته لمدة نصف ساعة، في زنزانة

معزولة تحت القصر في مدينة كورفاس القديمة.

تكدست جثث الفئران الميتة عاليًا حوله، لكن أعدادهم كانت في تزايد؛ ما أدى في نهاية المطاف إلى تغلبهم عليه.

سقط جون كارتر بضربة قوية على رأسه من ذيل يشبه الأفعى.

كان نصف مذهول، لكنه ظل متشبثًا بسيفه في عناد، عندما شعر بأذرع تمسك به وتجره نحو ظلام نفق مجاور.

* * *

الفصل (٤)

مدينة الجرذان

تعافى جون كارتر تمامًا عندما جروه خلال بركة من المياه الموحلة. سمع الجرذان تشرب بشراهة، ورأى أعينها الخضراء تلمع في الظلام.

وصلت رائحة الأرض المحفورة حديثًا إلى أنفه، وأدرك أنه في جُحر بعيد تحت أقبية القصر.

أمسك بذراعيه العديد من الفئران على جانبيه ببراثنهم الأمامية وهم يجروه. كان وضعًا غير مريح على الإطلاق، وتساءل إلى متى تستمر الرحلة.

لم يطل انتظاره. وصل مع رفقته الغريبة أخيرًا إلى كهف ضخم تحت الأرض.

يتسرب الضوء من الخارج خلال فتحات مختلفة في السقف أعلاه، وتنعكس أشعته على الآلاف من أعمدة الحجر الرملي الأحمر البراقة المتدلية في الكهوف. وترتفع الأعمدة الصاعدة الهائلة، والتشكيلات الرسوبية الضخمة ذات الأشكال الغريبة، من أرضية الكهف.

ومن بين هذه التشكيلات، هناك العديد من أكواخ الطين التي تتخذ هيئة القبة.

كان كارتر يُحدق، خلال جرِّه، في كوخ يقوم العديد من الجرذان ببنائه. كان إطاره يتكون من عصي بيضاء من أشكال مختلفة، تُلصَق بطين مأخوذ من قاع جدول مائي تحت الأرض. لم تكن العصي البيضاء منتظمة الطول والحجم. توقف أحد الجرذان عن العمل ليقضم عصا بَدَتْ كأنها قطعة من العظم.

وعندما اقترب منه، خلال عملية الجر، أدرك أن العصا كانت من عظم فخذ بشري!

كانت الأكواخ الطينية مرصعة بالعظام والجماجم، ولا يزال يتدلى من بعضها ببشاعة بقايا الشعر والجلد. لاحظ كارتر أن قمم جميع الجماجم قد أُزيلت، وقُطِعت بدقة.

جر الجرذان رجل كوكب الأرض إلى أرض خلاء في وسط الكهف. وفوق كومة من الجماجم، جلس جرذ يزيد حجمه عن حجم الجرذان الآخرين بحوالي مرة ونصف.

توهجت أعين المخلوق البالية المحمرة وهو ينظر إلى كارتر، بينما يسحبونه إلى أعلى الكومة.

أبعدت الوحوش قبضتها عن رجل كوكب الأرض ونزلت من الكومة، تاركة كارتر بمفرده مع الجرذ الكبير.

كانت شوارب الوحش الطويلة تهتز باستمرار وهو يتشمم الرجل. يبدو أن الوحش قد فقد أذنًا في إحدى المعارك منذ فترة طويلة، بينما كانت أذنه الأخرى تلمع بندبة في أنسجتها.

ظلت أعينه المحمرة الصغيرة تتفحص كارتر لفترة طويلة، بينها يداعب باعتزاز ذيله الطويل الخالي من الشعر بيده التي تشبه المخلب.

ما من شك في أنه ملك الجرذان.

«إله العالم السفلي»، فكر كارتر في محاولة لحبس أنفاسه. كانت رائحة الكهف الكريهة ساحقة.

مد الجرذ يده، دون أن يبعد عينيه عن كارتر، والتقط جمجمة بجانبه ووضعها أمام كارتر. كرر ذلك، والتقط جمجمة من الجانب الآخر ووضعها بجانب الأولى. وبتكرار هذه العملية، شكّل في النهاية حلقة صغيرة من رؤوس بلا قمم أمام رجل كوكب الأرض.

تسلق الآن، بحكمة شديدة، إلى داخل دائرة الجماجم والتقط إحداها ورماها نحو كارتر. أمسك بها كارتر ورماها ثانية نحو الملك.

ويبدو أن هذا السلوك أزعج صاحب السمو الملكي. فلم يبذل أي

جهد للإمساك بالجمجمة، وتجاوزته متجهة إلى أسفل الكومة.

أخذ الملك يقفز صعودًا وهبوطًا داخل دائرة الجماجم الصغيرة، ويُطلق في الوقت نفسه صريرًا غاضبًا.

أثار ذلك حيرة رجل كوكب الأرض. وأدرك وهو يقف هناك وجود دائرتين من الجرذان تتشكلان عند قاعدة الكومة، تضم كل منها حوالي ألف حيوان. بدأوا يؤدون رقصة غريبة، ويتحركون عكس اتجاه عقارب الساعة حول منصة العظام المرتفعة. وكان ذيل كل جرذ في فم الوحش التالي له، وبالتالي تشكلت سلسلة مستمرة.

ما من شك في أن رجل كوكب الأرض كان في وسط طقوس غريبة. وعلى الرغم من جهله بطبيعة الاحتفال الدقيقة، لم يكن لديه أدنى شك في نتيجته النهائية. فالجماجم القاحلة التي لا تُعد ولا تُحصى، وتلك التي تحول لونها إلى الأصفر وملأت الكهف، كانت أدلة مروعة صامتة على مصيره النهائي.

من أين حصلت الجرذان على كل تلك الجثث التي أخذت منها الجماجم، ولماذا قمم تلك الجماجم مفقودة؟ إن مدينة كورفاس، كما يعرف كل تلميذ مريخي، مهجورة منذ ألف سنة؛ ومع ذلك هناك العديد من الجماجم والعظام المنتقاة التي تم مؤخرًا انتزاع اللحم منها بدقة. لم يشهد كارتر في المدينة أي دلائل عن وجود حياة غير القرود البيضاء الضخمة، والعملاق الغامض، والجرذان نفسها.

غير أنه سمع من فترة قريبة صرخة امرأة. وقد أكد هذا التفكير

قلقه الدائم على سلامة ديجاه ثوريس ومكان وجودها.

كان هذا التأخير يُعذبه. وعندما حاصرته دوائر الفئران، بحثت أعين رجل كوكب الأرض بشغف عن أي وسيلة للهرب.

دارت الجرذان ببطء في حلقات وهي تراقب ملكها الذي وقف على ساقيه الخلفيتين، يضرب الأرض بقدميه، ويهز ذيله. ترددت أصداء كومة الجماجم جوفاء.

زادت سرعة رقص الملك، وزادت سرعة حركة دوائر الجرذان مقتربة من الكومة.

ألقت الجرذان الأقرب إلى رجل كوكب الأرض نظرات جائعة نحوه. ابتسم كارتر بمرارة، وأحكم قبضته على سيفه. من الغريب أنهم تركوه محتفظًا بسيفه.

سيموت أكثر من وحش قبل أن يتمكنوا من التغلب عليه، وسيكون الملك أول مَن يموت. ما من شك في ضرورة التضحية به لإعداد طقوس العربدة الشهية.

توقف الملك فجأةً عن دورانه الجامح أمام كارتر مباشرة. وتوقف الراقصون على الفور، يرقبون، وينتظرون.

بدأ صرير غريب يهدر بعمق في حلق الملك، ثم تصاعد إلى صرخة تثقب الأذن. صعد ملك الجرذان فوق حلقة الجماجم، وتقدم بطيئًا نحو كارتر.

نظر رجل كوكب الأرض حوله ثانية بحثًا عن وسيلة للهرب من الكومة؛ على أنه نظر هذه المرة إلى أعلى. يبعد السقف بحوالي خمسين قدمًا على الأقل. لا يفكر أي شخص مريخي المولد في الهروب من هذا الاتجاه.

لكن جون كارتر مولود على كوكب الأرض، وجاء إلى المريخ ومعه كل قوة وخفة حركة رياضي مُدرَب.

وبناء على ذلك، علاوةً على جاذبية المريخ الأقل، وضع رجل كوكب الأرض خطة سريعة للحظة التالية.

انتظر فرصته بتوتر. أوشك الحفل على الانتهاء، وكان الملك يكشف عن أنيابه على مسافة تقل عن قدم واحدة من رقبة كارتر.

شدد رجل كوكب الأرض قبضته على مقبض سيفه؛ ثم انطلق النصل من غمده. حركة ضبابية وضربة مقززة. طار رأس الملك في الهواء، ثم تدحرج بعيدًا أسفل الكومة.

وقفت الوحوش الأخرى أسفل الكومة صامتة في ذهول، وإن كان للحظات فقط. أخذت الآن تصرخ بعنفٍ وتحتشد فوق الكومة، بهدف تمزيق رجل كوكب الأرض.

جثم جون كارتر، ثم أرسلته عضلاته بقفزة قوية إلى مسافة خمسين قدمًا في الهواء.

تشبث يائسًا بالرواسب الكلسية المتدلية، وسرعان ما كان يتأرجح

فوق الطحالب المعلقة عند الامتدادات العليا الشاسعة من الكهف.

ألقى نظرة إلى أسفل، ورأى الجرذان تئن وهي تتحرك في ارتباك. لاحظ أيضًا شيئًا آخر. لا يوجد، على ما يبدو، سوى وسيلة واحدة فقط للدخول أو الخروج من الزنزانة التي تشكل مدينة الجرذان تحت الأرض: نفس النفق الذي جروه خلاله في البداية.

ومع ذلك، كان رجل كوكب الأرض عازمًا على إيجاد وسيلة خروج من السقف.

وجد كارتر أخيرًا فتحة ضيقة، وغاص خلال ستارة ثقيلة من الطحالب، متأرجحًا في الكهف.

شاهد العديد من الأنفاق تتفرع في الظلام، يرتبط معظمها بكثافة مع شبكات لزجة للعنكبوت المريخي الضخم. من الواضح أنها كانت أجزاء من شبكة واسعة من الأنفاق تحت الأرض، أقامها منذ زمن طويل القدماء الذين كانوا يسكنون كورفاس ذات يوم.

استعد كارتر بسيفه لأي اشتباك مع رجل أو وحش يأتي في طريقه؛ وبالتالي بدأ من أكبر نفق.

أتاح ضوء الراديوم المشتعل على الدوام، والذي وُضع في الجدار عند بناء النفق، إضاءة كافية ليرى رجل الأرض طريقه بوضوح تام.

توقف كارتر أمام باب ضخم في نهاية النفق. كان منقوشًا بكتابة هيروغليفية غير مألوفة له. سمع أزيزًا مكتومًا، كأنه صوت العديد من

المحركات، يأتي من مكان ما وراء الباب.

دفع الباب، ولم يكن موصدًا؛ ثم توقف يحدق غير مُصدِّق في المختبر الهائل الذي وجد نفسه فيه.

رأى محركات كبيرة تضخ الأكسجين خلال أنابيب منخفضة، في صفوف من الأقفاص الزجاجية التي اصطفت على الجدران وملأت الغرفة البيضاء المُعقمة من أولها إلى آخرها. تقع في وسط المختبر عدة طاولات للعمليات الجراحية، تُركز عليها من أعلى كشافات كبيرة.

بيد أن محتويات الأقفاص الزجاجية جذبت انتباه رجل كوكب الأرض على الفور.

يحتوي كل قفص على قرد أبيض عملاق، يقف في وضع مستقيم ويبدو بلا حياة.

وكانت الضمادات تغطي قمة كل رأس مُشعِر. إذا كانت هذه الوحوش ميتة، لماذا تصل أنابيب الأكسجين إلى أقفاصهم؟

تحرك كارتر في أنحاء الغرفة لفحص الحالات من مسافة أقرب. وجد في منتصف الطريق إلى الجدار الأبعد، قبة زجاجية منخفضة تغطي حفرة ضخمة في الأرض.

شهق. كانت الحفرة مليئة بجثث الموتى؛ محاربين حُمر البشرة، رؤوسهم مقطوعة بدقة!

الفصل (٥)

غرفة الرعب

رأى جون كارتر، على مسافة بعيدة في الحفرة، أشكالًا تتحرك حول أجسام الرجال الحُمر الموتى.

اتضح أنها الجرذان؛ حيث شاهدها تجر الجثث إلى أنفاق مجاورة. ربما تؤدي هذه الأنفاق إلى النفق الرئيس الذي يصل إلى مدينة الجرذان تحت الأرض.

هذا هو المكان إذن الذي تحصل منه الوحوش على الجماجم والعظام التي تستخدمها في بناء مساكنها ذات الرائحة تحت الأرض!

مسحت عينا كارتر المختبر؛ لاحظ طاولة العمليات الجراحية، وصندوق الأدوات أعلاها، والتخدير. يشير كل شيء إلى تجارب مروعة، أجراها بعض العلماء المجانين.

يوجد العديد من الكتب داخل صندوق زجاجي. حمل أحد المجلدات كتابة بأحرف ذهبية: (بيو موجل، حياته وأعماله الرائعة).

اكفهر رجل كوكب الأرض. ما تفسير ذلك؟ لماذا يُدفَن هذا المختبر، المُجهز جيدًا، في مدينة قديمة مفقودة، مدينة تبدو مهجورة باستثناء القردة والجرذان ورجل عملاق؟

لماذا تضم الصناديق الموجودة على طول الجدار جثثًا خرساء لا تتحرك لقرود بضمادات على رؤوسها؟ والرجال الحُمر في الحفرة – لماذا قُطِعت جماجمهم إلى نصفين، وأُزيلت أمخاخهم؟

من أين جاء العملاق؛ ذلك المخلوق الوحشي الذي لا يوجد له مثيل سوى في الفولكلور البرسومي؟

يحمل أحد الكتب في صندوق أمام كارتر اسم «بيو موجل». ما علاقة بيو موجل بكل هذا، ومَن هو هذا الرجل؟

على أن السؤال الأهم هو أين ديجاه ثوريس أميرة هيليوم؟

مد جون كارتر يده نحو كتاب بيو موجل. وفجأة صمتت الغرفة. توقفت المولدات التي كانت طاقتها تطن.

ترددت كلمات خلال المختبر: «لا تلمس هذا الكتاب يا جون كارتر».

سقطت يد كارتر على سيفه. توقف الصوت الخفي للحظة، ثم واصل.

«استسلم يا جون كارتر، أو تموت أميرتك»، كان واضحًا أن الكلمات تصدر من مكبر صوت مخفي في مكان ما بالغرفة.

– توجه إلى الباب الذي يقع على يمينك، يا رجل كوكب الأرض، الباب على يمينك.

شعر كارتر بالفخ على الفور. اتجه إلى الباب، وفتحه قلِقًا بقدمه.

جلس رجل بشع ومشوه على عرش بهيّ في النهاية البعيدة من غرفة ضخمة على شكل قبة. رجل ذو رأس صغير مستدير فوق أكتاف ضخمة.

بدا كل شيء في المخلوق مشوهًا. كان جسمه ملتويًا، ولم تكن ذراعاه متساويتين في الطول. كما كانت إحدى أقدامه أكبر من الأخرى.

نظر وجه الرأس الضئيل شزرًا إلى جون كارتر. وتدلى جزئيًّا لسان سميك على الأسنان الصفراء.

كان جسمه العملاق مغطى بأغطية ذات زخارف رائعة من البلاتين والماس. وكان يداعب بإحدى يديه الشبيهة بالمخلب سلسلة من الخرز.

لا يوجد شعر على جسمه، من الرأس إلى القدم.

جثم عند قدمي الرجل وحش أشعث ضخم، بأربع أيدٍ – قرد أبيض آخر. استقرت عيناه الصغيرتان الحمراوان بثبات على رجل

كوكب الأرض، الذي يقف في النهاية البعيدة من الغرفة.

لمس الرجل الجالس على العرش الميكروفون الذي استخدمه لاستدعاء كارتر إلى الغرفة.

لمعت أعينه الصغيرة المستديرة بالكراهية، وقال: «لقد أوقعتك أخيرًا يا جون كارتر. لا يمكنك مضاهاة المخ العظيم الذي يتمتع به بيو موجل!».

التفت بيو موجل نحو شاشة تلفزيون مليئة بالأقراص والأضواء من مختلف الألوان.

التوى وجهه في ابتسامة. «أنت تُشرّف مدينتي المتواضعة يا جون كارتر. لقد رأيت حركتك خلال غرف القصر العديدة بجهازي التلفزيوني»، ربت بيو موجل على الجهاز.

ثم واصل كلامه: «هذا اختراع صغير لمُعلمي الممتاز راس ثافاس[١٢]، وحصلت عليه منه. كان الجهاز عونًا لا يُقدر بثمن في معرفة بحثك عن شخصي التافه. ومن المؤسف أنك تشككت في نوايا مندوبي الكريمة بعد ظهر ذلك اليوم في غرفة الجيداك».

– على أنه، لحسن الحظ، كان قد أنهى مهمته بالفعل؛ فمن خلال

(١٢) راس ثافاس: عالِم مريخي، معروف بأنه العقل المُدبر في المريخ، وهو أحد أبطال القصة المعروفة بالاسم نفسه في سلسلة المريخ. يكرس اهتمامه بالعلوم دون النظر إلى العواقب الاجتماعية لاختراعاته أو اكتشافاته – *https://barsoom.fandom.com/wiki/Ras_Thavas* – المترجمة.

امتداد لهذا الجهاز التلفزيوني، مُخبأ بذكاء خلف مرآة في غرفة عرش الجيداك، تمكنت من رؤية وسماع الإجراءات بأكملها.

ضحك بيو موجل بتفاهة، وعيناه اللتان لا ترمشان تحدقان بثبات في كارتر الذي ظل بلا حراك في الطرف الآخر من الغرفة.

لم يَرَ رجل كوكب الأرض أي شيء في الغرفة يشير إلى وجود فخ. كانت الجدران والأرضية من ألواح رمادية مصقولة. وقف كارتر في نهاية ممر طويل يؤدي إلى عرش بيو موجل.

تقدم بطيئًا نحو بيو موجل ويده تقبض على سيفه، وعضلات ذراعه متصلبة.

توقف رجل كوكب الأرض في منتصف الممر، وقطعت كلماته الهواء: «أين ديجاه ثوريس؟»

تكوم رأس بيو موجل الضئيل[١٣] على جانب واحد. انتظره كارتر ليتكلم.

لا يبدو بيو موجل بشريًّا تمامًا، على الرغم من أن ملامحه ملامح

(١٣) المقصود بالرأس الضئيل *microcephalic* وصف لحجم رأس صغير، بما يعني سعة صغيرة جدًّا للمخ. وهو عكس كبر حجم الرأس *megacephalic*، الذي يعني سعة كبيرة للمخ. وصِغر الرأس علامة، بوجه عام، على البلاهة؛ على الرغم من أنه لا يعني ذلك في حالة بيو موجل، بل يعني المكر الشديد والجنون، ويشير إلى أن سبب صغر رأس بيو موجل – وهو مُنتَج اصطناعي لأحد أشهر علماء المريخ، راس ثافاس – يرجع إما إلى مرض، وإما إلى عدم قدرة المخ على التكيف مع تجويف الجمجمة الغريب غير الملائم. من الواضح أن رأس بيو موجل كان صغيرًا جدًّا بالنسبة إلى جسمه أو مخه – ملحوظة من محرر الطبعة الأجنبية.

رجل. هناك شيء بغيض لا يوصف فيه؛ الشفتان الرفيعتان، الخدان المجوفان، العينان المتقاربتان.

أدرك كارتر أن تلك الأعين لا ترمش. لا توجد جفون. لا تغمض عينا الرجل أبدًا. تحدث بيو موجل ببرود: «أنا مدين لك كثيرًا بهذه الزيارة. كنت محظوظًا بما يكفي لأتمكن من استضافة أميرتك وأفضل صديق لك؛ لكنني لم أجرؤ على الأمل بأن تُشرفني أنت أيضًا».

كان وجه كارتر بلا تعبير، وكرر بطيئًا: «أين ديجاه ثوريس؟».

نظر بيو موجل بسخرية.

تقدم رجل كوكب الأرض نحو العرش. زأر القرد الأبيض الجائم عند قدمي بيو موجل، وانتصب الشعر على رقبته عموديًّا عندما جفل بيو موجل قليلًا.

ارتسمت ثانية ابتسامة ملتوية على وجهه وهو يرفع يده نحو جون كارتر ويتكلم ببطء:

- تَحَلَّ بالصبر يا جون كارتر، وسوف ترى أميرتك. لكنك ربما تهتم أولًا برؤية الرجل الذي قال لك، الليلة الماضية، إنه سيقابلك عند الجسر الرئيس خارج المدينة.

ضغط بيو موجل بأحد أصابعه على رافعة تبرز من الذراع الذهبية لعرشه، وجذبها نحوه. بدأ عمود على يسار عرشه يدور ببطء، ونصفه مثبت في الجدار.

ظهر رجل أخضر عملاق، مُقيد بالسلاسل إلى العمود، وأذرعه الأربع القوية مربوطة بإحكام. ولسلامة بيو موجل الإضافية، التفت العديد من السلاسل الفولاذية حول جسد الرجل الأخضر مع إغلاقها بأقفال ضخمة. كما تم تأمين رقبته وكاحليه بأشرطة من الصلب، وإغلاقها أيضًا.

صاح كارتر: «تارس تاركاس!».

ارتسمت ابتسامة قاتمة على وجه تارس تاركاس وهو يرد: «كاور[١٤]، جون كارتر. أرى أن صديقنا هنا أمسكنا بنفس الطريقة. لكنه احتاج إلى عملاق يفوق حجمي بخمس عشرة مرة ليمسك بي حتى يتمكنوا من تقييدي بهذه السلاسل».

«الرسالة التي أرسلتها إليَّ الليلة الماضية...»، أدرك كارتر الحقيقة على الفور. قام بيو موجل بتزييف الرسائل القادمة من كانتوس كان وتارس تاركاس، بعد أن أوقعهما في الشرك بالمدينة في الليلة السابقة.

قال بيو موجل: «نعم، لقد أرسلت إليكما رسائل متطابقة، كل رسالة تبدو من الآخر. لقد تأكدت من طول موجة البث الصحيحة بعد الاستماع إلى الميكروفون الخفي الذي زرعته في غرفة عرش الجيداك. ذكاء، هه؟».

جحظت عين بيو موجل اليسرى فجأة من محجرها وتدلت على

(١٤) كاور: كلمة التحية بلغة أهل المريخ – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Martian_Language* – المترجمة.

خده. لم ينتبه إلى ذلك، لكنه استمر في الكلام، وهو ينظر أولًا إلى كارتر ثم إلى تارس تاركاس بالعين الأخرى.

قال بيو موجل: «لقد التقيتما بجووج. يبلغ طوله ١٣٠ قدمًا، وكله عضلات. إنه نتاج العلم، نتج عن مخي العظيم. لقد صنعته بيدي من لحم حي، وهو أعظم وحش مقاتل شهدته برسوم على الإطلاق. وقد قمت بنمذجته من أعضاء وأنسجة وعظام عشرة آلاف رجل أحمر وقرد أبيض».

أدرك بيو موجل ما حدث لعينه اليسرى، فدفعها بسرعة إلى مكانها ثانية.

ضحك تارس تاركاس إحدى ضحكاته النادرة، وقال: «أنت تتفكك يا بيو موجل. وبمثل ما تزعم أنك صنعت عملاقك، أنت نفسك مصنوع».

تابع تارس تاركاس: «ما لم أكن قد أخطأت في تخميني يا جون كارتر، فإن هذا الكائن الغريب الذي يجلس أمامنا ويطلق على نفسه الملك، قد زحف هو نفسه خارجًا من حوض للأنسجة البشرية!».

زاد شحوب وجه بيو موجل وهو يقفز واقفًا على قدميه. صفع تارس تاركاس بشراسة.

قال صارخًا: «اصمت أيها الرجل الأخضر!».

ابتسم تارس تاركاس أمام هذه الإهانة، متجاهلًا الألم. كان وجه

جون كارتر مثل قناع متجمد. ضربة أخرى لصديقه الأعزل كانت سترسله إلى حنجرة بيو موجل.

كان يعلم أن من الأفضل الانتظار إلى أن يتمكن من معرفة مكان إخفاء ديجاه ثوريس.

عاد بيو موجل إلى عرشه وغاص فيه ثانية. جثم القرد الأبيض ثانية، بعد أن نهض، عند قدمي سيده.

يبتسم بيو موجل الآن مرة أخرى.

قال: «أنا آسف جدًّا لأنني فقدت أعصابي. أنسى أحيانًا أن مظهري الحالي يكشف عن طبيعة نشأتي».

– كما ترون، سرعان ما سأدرب أحد قرودي على تلك العملية المعقدة، عملية نقل مخي الرائع إلى جسم مناسب، جسم وسيم. وعندئذ لن يخمن أحد أنني لست مثل أي رجل عادي آخر في برسوم.

ابتسم جون كارتر بقتامة على كلمات بيو موجل.

وقال: «أنت إذَنْ أحد الرجال الآليين الذين صنعهم راس ثافاس؟».

* * *

الفصل (٦)

بيو موجل

أجاب بيو موجل ببطء: «نعم، أنا رجل آلي مصنوع. ومخي هو أعظم إنجاز بين جميع إبداعات عقل السيد المخترع».

– بقيت لسنوات تلميذًا مُخلِصًا لراس ثافاس في مختبراته في موربوس. تعلمت كل ما يمكن أن يعلمني إياه من أسرار صُنع الأنسجة الحية. وغادرت موربوس عندما تعلمت منه كل ما أعتقد أنه ضروري لمتابعة خططي. هربت مع مائة رجل آلي؛ حيث طرنا على ظهور طيور المالاجور[١٥]، طيور النقل، فوق المستنقعات التونولية[١٦] العظمى.

---

(١٥) مالاجور: طائر كبير الحجم على المريخ، يعتقد السكان أنه انقرض منذ زمن طويل – https://barsoom.fandom.com/wiki/Malagor – المترجمة

(١٦) نسبة إلى تونول؛ وهي مملكة مريخية نائية محاطة بالمستنقعات – https://barsoom.fandom.com/wiki/Toonol – المترجمة

«أحضرت معي كل الأدوات المعقدة التي استطعت سرقتها من مختبراته. أما البقية، فقد صنعتها هنا في هذه المدينة القديمة المهجورة حيث هبطنا أخيرًا».

كان جون كارتر يتفحص بيو موجل باهتمام.

واصل بيو موجل: «لقد تعبت من كوني عبدًا. أردت أن أحكُم. ونجحت بفضل إيسوس[١٧]؛ ويومًا ما سأحكم كل برسوم!».

لمعت أعين بيو موجل.

– لم يمضِ وقت طويل قبل أن يتجمع الرجال الحُمر في مدينتنا: مجرمون هاربون ومنفيون. وبما أن وجوههم لن تؤدي بهم إلا إلى القبض عليهم وإعدامهم في مدن متحضرة أخرى في برسوم، فقد أقنعتهم بنقل أمخاخهم إلى رؤوس القرود البيض الغبية التي اجتاحت هذه المدينة.

«ووعدتهم باستعادة أمخاخهم لاحقًا إلى رؤوس رجال حُمر آخرين، شريطة أن يساعدوني في فتوحاتي».

تذكّر كارتر القرود التي التفت الضمادات حول رؤوسها في المختبر المجاور، والرجال الحُمر الذين قُطِعت أجزاء من جماجمهم في غرفة الجرذان. بدأ كارتر يفهم قليلًا، ثم تذكّر جووج.

(١٧) إيسوس: امرأة عجوز من المريخيين ذوي البشرة السوداء، زعمت أنها إلهة الحياة الأبدية، لكن حقيقتها تكشفت – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Issus* – المترجمة

سأل جون كارتر: «ولكن، ماذا عن العملاق؟ من أين جاء؟».

ظل بيو موجل صامتًا لدقيقة، ثم تحدث.

«لقد قمت بصنع جووج، قطعة قطعة، خلال عدة سنوات، من عظام وأنسجة وأجهزة ألف رجل أحمر وقرد أبيض، جاءوا لي طواعية أو تمكنت من أسْرِهم».

«حتى مخه عبارة عن توليف من أمخاخ عشرة آلاف رجل أحمر وقرد أبيض. وقمت بضخ مصل في عروق جووج؛ مصل يجعل جميع الأنسجة تتولى إصلاح نفسها».

«وعملاقي غير قابل للتدمير عمليًّا. لا يمكن أن توقفه رصاصة أو مدفع!».

ابتسم بيو موجل وتحسس ذقنه الخالي من الشعر.

وقال: «فكّر في مدى قوة جنودي القردة، وكل منهم مسلح بقوة القرد الهائلة. يمكنهم، بأذرعهم الأربع، حمل ضِعف عدد الأسلحة التي يحملها الرجال العاديون؛ وتعمل داخل جماجمهم أمخاخ البشر الماكرة».

«يمكنني، مع جووج وجيشي من القردة البيضاء، أن أتقدم وأصبح سيد برسوم كلها»، توقف بيو موجل للحظات ثم أضاف: «شريطة أن أحصل على المزيد من الحديد لصنع مزيد من الأسلحة أكثر مما لديَّ بالفعل».

نهض بيو موجل الآن من عرشه في حماسة كبيرة.

قال: «فضلت أن أغزو سلميًّا، عن طريق الحصول أولًا على صناعة الحديد في هيليوم مقابل عودة ديجاه ثوريس آمنة. لكن الجيداك وجون كارتر يجبرانني على بدائل أخرى. بيد أنني سأعطيكما فرصة أخرى للتسوية سلميًّا».

تحركت يد بيو موجل نحو الذراع اليمنى لعرشه، وسحب رافعة مشابهة؛ فظهرت امرأة جميلة.

كانت ديجاه ثوريس!

شحب جون كارتر عندما رأى أميرته مقيدة بالسلاسل إلى عمود آخر أمامه. انطلق لتحريرها.

كان يمكن لعضلاته المنتمية إلى كوكب الأرض أن تغطي المسافة بسهولة في قفزة واحدة؛ لكن حاجزًا أعاقه في منتصف الطريق. شاهدت ديجاه ثوريس وتارس تاركاس رجل كوكب الأرض يسقط من الهواء كما لو أنه اصطدم بكل قوته بحاجز غير مرئي. تكوم على الأرض في شبه ذهول.

صرخت ديجاه ثوريس، وتوتر تارس تاركاس في قيده. نهض رجل كوكب الأرض ببطء، ووقف على قدميه وهو يهز جسمه كحيوان مهيب. لمس بسيفه الحاجز الذي يقف بينه وبين العرش.

ضحك بيو موجل بقسوة.

قال: «أنت محاصر، يا جون كارتر. الحاجز الزجاجي الخفي الذي اصطدمت به هو اختراع آخر من اختراعات راس ثافاس العظيم التي حصلت عليها. إنه منيع».

«من هناك، يمكنك مشاهدة تعذيب أميرتك، إلا إذا رأت من المناسب أن توقع على رسالة إلى والدها تطلب فيها تسليمي هيليوم».

نظر رجل كوكب الأرض إلى أميرته، التي لا تبعد عنه بأكثر من عشر أقدام. رفعت ديجاه ثوريس رأسها عاليًا بفخر، بما يمثل إجابة وافية على مطلب بيو موجل بأن تخون شعبها.

شاهد بيو موجل ذلك، وأصدر بغضب أمرًا للقرد. نهض الوحش الأبيض ومشى متمهلًا نحو ديجاه ثوريس. أمسك شعرها بمخلب واحد، ودفع رأسها إلى الخلف بقوة حتى تمكن من رؤية وجهها. لم يكن وجهه المبتسم البشع يبعد بأكثر من بوصتين عن وجهها.

هسهس بيو موجل: «اطلبي استسلام هيليوم، وسوف تحصلين على حريتكِ!».

ردت: «أبدًا!».

أصدر بيو موجل أمرًا آخر إلى القرد.

ثبّت المخلوق شفاهه الكبيرة المُتدلية على شفاه الأميرة. ترنحت ديجاه ثوريس، بينما اندفع تارس تاركاس دون جدوى في سلاسله الفولاذية. أُغمى على الفتاة.

اندفع ثانية رجل كوكب الأرض عبثًا نحو الحاجز الذي لا يتمكن من رؤيته.

صاح بيو موجل: «أحمق. لقد أعطيتك فرصتك للاحتفاظ بأميرتك عن طريق تسليمي صناعة الحديد في هيليوم. لكنك، أنت والجيداك، تصورتما أن بإمكانكما هزيمتي واستعادة ديجاه ثوريس دون دفع الثمن الذي طلبته لعودتها سالمة. ولهذا الخطأ سوف تموتون جميعًا».

مد بيو موجل يده مرة أخرى إلى لوحة الآلات بجانب عرشه. بدأ في إدارة عدة أقراص، وسمع كارتر ضوضاء غريبة، تتزايد باطراد.

استدار رجل كوكب الأرض فجأة، وركض نحو الباب الذي دخل منه.

ولكن، أُغلِق حاجز آخر أمام كارتر قبل أن يقطع خمس عشرة قدمًا. كان الهرب من خلال الباب مستحيلًا.

توجد نافذة في الجدار على يمينه. قفز ليصل إليها، لكنه اصطدم بحاجز زجاجي آخر.

وهناك نافذة أخرى على الجانب الأيسر من الغرفة. كاد أن يصل إليها تقريبًا، عندما قابله جدار آخر من الزجاج غير المرئي.

أصبح واعيًا تمامًا على الفور بمأزقه. الجدران تتحرك نحوه. ويدرك الآن أن الحواجز الزجاجية تخرج من شقوق مخبأة بذكاء في

الجدران المتجاورة.

بيد أن الحاجزين الجانبيين مثبتان على مكابس أفقية في السقف. وهذه المكابس تتحرك معًا، وبالتالي تُقرب الجدران الزجاجية من بعضها، ما يؤدي في النهاية إلى سحق رجل كوكب الأرض بينهما.

يوجد في إصبع جون كارتر خاتمًا مرصعًا بالجواهر، في وسطه قطعة كبيرة من الماس. الماس يمكنه قطع الزجاج!

هنا نوع جديد من الزجاج، لكن الاحتمالات تطرح أنه ليس بمثل صرامة الماس في إصبع كارتر!

كوّر رجل كوكب الأرض قبضته وضغط بخاتمه الألماسي على الحاجز أمامه، وسرعان ما صنع خدشًا دائريًّا كبيرًا في سطح الزجاج.

ثم صدم بكل قوة جسده منطقة الزجاج المحاطة بالخدش.

حطم الاصطدام هذا الجزء بدقة، ووجد رجل كوكب الأرض نفسه وجهًا لوجه أمام بيو موجل.

استعادت ديجاه ثوريس وعيها، وعلى وجهها الجميل تعبير محدد مقصود. استقرت ابتسامة قاتمة على شفتي تارس تاركاس عندما رأى أن الحواجز غير المرئية لم تعد عائقًا أمام صديقه.

انكمش بيو موجل على عرشه، ولهث بصوت متصدع.

«اقبض عليه، يا جور، اقبض عليه!». تجمدت حبات صغيرة من العرق على جبينه.

أطلق جور، القرد الأبيض، قبضته من ديجاه ثوريس، واستدار؛ فرأى رجل كوكب الأرض يتقدم نحوهما. زمجر بشراسة، كاشفًا عن أنياب مدببة وقوية. جثم منخفضًا، بحيث تدعم قبضاته الأربع الضخمة وزنه على الأرض. لمعت أعينه الدموية الصغيرة ببصيص من الكراهية؛ ذلك أن جور يكره جميع الرجال ما عدا بيو موجل.

❊ ❊ ❊

الفصل (٧)

الرعب الطائر

عندما جثم القرد الأبيض الكبير جور - المُجهز بمخ بشري - لمواجهة جون كارتر، كان واثقًا تمامًا من التغلب على خصمه البشري الضعيف.

ولزيادة تأكده، سحب جور النصل الكبير إلى جانبه وهرع بجنون نحو خصمه، ليطعنه ويقطعه بشراسة.

اضطر كارتر، نظرًا لزخم هجوم الوحش، إلى التراجع للوراء بضع خطوات متفاديًا الضربات الجبارة.

على أن رجل كوكب الأرض وجد فرصته. فقد تلطخ سيفه بالدماء في سرعة وثقة. حدث تطور مفاجئ، طار سيف جور عبر الغرفة.

غير أن رد فعل جور كان بسرعة البرق. أمسك بيديه الأربع الضخمة سيف رجل كوكب الأرض.

انتزع النصل بعنف من قبضة كارتر، ورفعه فوق رأسه، ثم كسر الفولاذ الصلب إلى نصفين كما لو كان قطعة من الخشب.

اقترب الآن، وهو يطلق هديرًا منخفضًا، من كارتر. جثم كارتر.

ثم قفز الرجل فجأة فوق رأس القرد. لكن الوحش مد يده المشعرة ثانية، وبسرعة خارقة أمسك بكاحل رجل كوكب الأرض.

أمسك جور بجون كارتر بيديه الأربع، وأخذ يقربه من فكه، الذي سال لعابه، ومن أنيابه اللامعة.

بيد أن رجل كوكب الأرض تمكن من تحرير ذراعه بقوة حركة عضلاته، ووجه ضربة هائلة إلى وجه جور بالكامل.

تراجع القرد وأسقط جون كارتر، واتجه مترنحًا نحو نافذة ضخمة على الجدار الأيمن لعرش بيو موجل.

كان القرد يتداعى مترنحًا. وجد رجل كوكب الأرض فرصته؛ فقفز ثانية في الهواء، لكنه طار هذه المرة لمسافة قدم نحو القرد.

في لحظة ملامسة صدر القرد، مدّ كارتر ساقيه بعنف. وهكذا، عندما ضربت قدماه جور، أضافت هذه القوة إلى زخم اندفاع جسده.

جأر جور صارخًا، واندفع خلال النافذة. لم تتوقف صرخاته إلا عند سقوطه، وهو يشعر بالغثيان، مصطدمًا بقوة على أرض الساحه في أسفل.

شاهدت ديجاه ثوريس وتارس تاركاس، المقيدين بالسلاسل

إلى الأعمدة، هذه المعركة القصيرة، وكانا مفتونين بأداء رجل كوكب الأرض الواثق والسريع.

شعر بيو موجل بالخوف عندما لم يستسلم كارتر على الفور لهجوم جور. وبدأ مرتعشًا يحرك الأقراص والمفاتيح، ثم تحدث بسرعة في الميكروفون الصغير بجانبه.

وقف رجل كوكب الأرض الآن على قدميه، وتقدم ببطء نحو بيو موجل. لم يرَ الظل الأسود الذي حجب النافذة وراءه.

لم يستدر رجل كوكب الأرض إلا عندما صرخت ديجاه ثوريس لتحذيره.

لكنه استدار بعد فوات الأوان!

التفت يد عملاقة، لثلاث أقدام كاملة، حول جسده. رفعه العملاق من على الأرض وانطلق مسرعًا من خلال النافذة.

تناهت إلى أذنَي كارتر صرخة يائسة من أميرته، تختلط بضحكة قاسية جوفاء من بيو موجل.

لم يكن كارتر بحاجة إلى تأكيد إضافي من عينيه ليعرف أنه كان محتجزًا في قبضة عملاق آلي من صنع بيو موجل. كانت أنفاس جووج الكريهة على وجهه دليلًا كافيًا.

كان جووج يمسك بكارتر وقربه لمسافة عدة أقدام من وجهه، حيث تقلصت ملامحه في ما يشبه ابتسامة، كشفت عن صفين كبيرين

من الأسنان المتصدعة المصفرة في حجم الصخور الحادة.

انطلقت أصوات قرقرة غليظة من حنجرة جووج وهو يحمل رجل الأرض أمام وجهه.

«أنا جووج. أنا جووج»، نجح الوحش أخيرًا، «يمكنني أن أقتل! يمكنني أن أقتل!».

ثم هز ضحيته إلى أن اهتزت أسنان الرجل.

وفجأة هدأ العملاق، وأخذ يستمع. وهنا أصبح كارتر على بينة من الكلمات المكتومة القادمة، على ما يبدو، من أذن جووج.

أدرك جون كارتر أن الأوامر كانت تأتي من بيو موجل، عن طريق موجة قصيرة إلى جهاز استقبال متصل بإحدى أُذُنَي جووج.

«إلى الحلبة»، كرر الصوت، «قيده فوق الحفرة!».

الحفرة – ما هذا الشكل الجديد للتعذيب الشيطاني؟ حاول كارتر تخفيف الضغط الفظيع الذي يسحقه.

لكنَّ ذراعيه كانتا مثبتتين على جانبيه بقبضة العملاق. كل ما يمكنه أن يفعله هو أن يتنفس بمشقة، ويأمل أن تصل بهما بسرعة خطوات جووج الكبيرة إلى الوجهة المحددة، أيًّا ما كانت.

إن سرعة العملاق الهائلة، التي تتخطى الصروح القديمة العالية أو الساحات الكبيرة الواسعة في خطوات فردية قوية، سرعان ما أوصلتهما إلى مدرج كبير مزدحم عند مشارف المدينة.

يبدو أن المُدرج كان مُصممًا في حفرة طبيعية. فقد تراصت صفوف فوق صفوف من الطبقات الدائرية المنحوتة داخل الجدار الداخلي للحفرة، بما يشكل سلسلة من المستويات جلس عليها آلاف من القردة البيضاء.

يوجد في وسط الحلبة حفرة دائرية يبلغ طولها حوالي خمسين قدمًا. ضمت الحفرة ما يبدو أنه ماء، يبعد مستواه بحوالي خمس عشرة قدمًا من أعلى الحفرة.

تدلت ثلاثة أقفاص ذات قضبان حديدية فوق وسط الحفرة، بواسطة ثلاثة حبال ثقيلة؛ وكل حبل منها مربوط بالجزء العلوي من كل قفص، ويتدفق عبر بكرة في السقالات المبنية علويًّا ووصولًا إلى حافة الحفرة حيث تم تثبيتها.

تسلق جووج حافة المدرج جزئيًّا ووضع كارتر على حافة الحُفرة. أمسك به هناك خمسة قرود كبيرة، بينما قام قرد آخر بخفض أحد الأقفاص إلى مستوى الأرض.

أمسك بعد ذلك بعمود ينتهي بكُلّاب، ثم هز القفص على الحافة. فتح باب القفص بمفتاح كبير.

كان حارس المفتاح قردًا قصيرًا ضخمًا، برقبة ثور وعينين متقاربتين للغاية.

توجه هذا الوحش الآن إلى كارتر. وعلى الرغم من أن خمسة قرود أخرى كانت تحتجز الأسير، فقد أمسك القرد بكارتر من شعره

بقسوة وألقاه في القفص، وهو يركله بشراسة في الوقت نفسه.

أغلق باب القفص على الفور، ثم أوصده بقفل. سحبوا الآن قفص كارتر فوق الحفرة، مع تثبيت الحبل في عمود حديدي عند الحافة.

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يعود جووج ومعه ديجاه ثوريس وتارس تاركاس، وقد أُزيلت السلاسل التي تقيدهما.

وضعوهما في القفصين الآخرين، المعلقين فوق الحفرة، بجوار جون كارتر.

صاحت ديجاه ثوريس عندما رأت كارتر في القفص المجاور: «أووه، جون كارتر، يا قائدي! شكرًا لإيسوس أنك لا تزال في قيد الحياة!»، كانت الأميرة الصغيرة تبكي في هدوء.

مد جون كارتر يده خلال القضبان وأمسك بيدها. حاول أن يتحدث إليها بكلمات تطمئنها، لكنه كان يعرف -كما يعرف تارس تاركاس الذي جلس قاتمًا في القفص الآخر بجانبه - أن بيو موجل قد أمر بقتلهم؛ لكن كارتر لم يكن متأكدًا بأي طريقة سيموتون.

قال تارس تاركاس بهدوء: «هل تلاحظ، يا جون كارتر، أن كل تلك الآلاف من القردة المتجمعين هنا في الساحة لا يولون أي اهتمام بنا؟».

أجاب رجل كوكب الأرض: «نعم، لاحظت ذلك. ينظرون جميعًا إلى السماء، نحو المدينة».

همست ديجاه ثوريس: «انظروا. إنه نفس الشيء الذي ركب عليه القرد عندما أسرني في غابة هيليوم، بعد إطلاق النار على الثوات الذي كان معنا!».

ظهر في السماء – قادمًا من اتجاه المدينة – طائر هائل منفرد، يركب فوق ظهره رجل واحد.

حدّقت عينا رجل الأرض الحادة للحظة: «إنه طائر المالاجور، ويركب بيو موجل على ظهره».

حلّق الطائر وراكبه فوق المكان مباشرة.

قال بيو موجل آمرًا: «افتحوا البوابة الشرقية»، وكان صوته يرن عبر مكبر للصوت في مكان ما في الحلبة.

فُتِحت البوابات، وبدأت تتدفق إلى الحلبة موجات متتالية من طيو المالاجور، تماثل تمامًا الطائر الذي يركبه بيو موجل.

مع خروج المالاجور، كانت صفوف من القردة تنتظر عند المدخل لتمتطي ظهور الطيور. وبعد ركوبهم فوقها، ارتفعت الطيور في الهواء، عن طريق أوامر بالتخاطر، للانضمام إلى تشكيل يتزايد باستمرار يدور عاليًا.

لا بد أن عملية امتطاء الطيور استغرقت ما يقرب من ساعتين، فقد كانت أعداد قرود وطيور بيو موجل كبيرة جدًّا. لاحظ كارتر وجود بندقية مربوطة على ظهر كل قرد، كما كان كل طائر يحمل تشكيلة

مختلفة من المعدات العسكرية؛ بما يتضمن إمدادات الذخيرة، ومدفعًا صغيرًا، علاوة على مدفع رشاش لدى كل فصيل طائر.

وأخيرًا أصبح كل شيء جاهزًا، وهبط بيو موجل فوق أقفاص أسراه الثلاثة.

صاح: «ترون الآن جيش بيو موجل الجبار، الذي سيغزو به هيليوم ثم برسوم كلها». بدا الرجل شديد الثقة، فقد جلس مستقيمًا بجسده الملتوي المشوه فوق ريش ركوبته.

قال: قبل أن تمضغكم الزواحف الموجودة في الماء أسفلكم، لديكم بضع لحظات للتفكير في المصير الذي ينتظر هيليوم في غضون الساعات الثماني والأربعين المقبلة. كان من الأفضل أن أغزو هيليوم بسلام، لكنكم تدخلتم، ولذلك ستموتون ببطء وفظاعة».

التفت بيو موجل إلى القرد الوحيد الذي تُرِك في الحلبة، حارس مفتاح الأقفاص.

«افتح بوابة الفيضان!»، كان هذا هو الأمر الوحيد الذي أصدره قبل أن ينهض لقيادة قواته في اتجاه الشمال.

ركب جووج، العملاق الآلي، مرافقًا الجيش الغريب الطائر في حبال ترفعه ويحملها مائة مالاجور. انطلقت ضحكة جوفاء قاسية كالرعد من حنجرة العملاق وهو يبتعد محمولًا في السماء.

الفصل (٨)

حفرة الزواحف

ما إن اختفى آخر طائر في جيش بيو موجل الهائل عن الأنظار، وراء حافة الحفرة، حتى التفت جون كارتر إلى تارس تاركاس في القفص المُعلق بجانبه. تحدث معه بصوت خفيض حتى لا تسمعه ديجاه ثوريس.

قال: «ستجعل هذه المخلوقات من هيليوم عدوًّا هائلًا. سوف يتعرض أسطول كانتوس كان الجوي الرائع والمشاة إلى ضغط شديد في مواجهة تلك الآلاف من القردة المجهزة بعقول بشرية وتسليح حديث، وتمتطي طيورًا جارحة سريعة!».

قال تارس تاركاس بأسى: «إن كانتوس كان وأسطوله الجوي ليسوا حتى في هيليوم لحماية المدينة. فقد سمعت بيو موجل يتفاخر بأنه بعث رسالة كاذبة إلى كانتوس كان، من المفترض أنها منك، يحثه

فيها على إرسال أسطول هيليوم كله، فضلًا عن جميع سفن فريق البحث، إلى المستنقعات التونولية العظمى لمساعدتك».

قال كارتر لاهثًا: «المستنقعات التونولية! إنها على بعد ألف ميل من هيليوم، في الاتجاه الآخر».

أطلقت ديجاه ثوريس صرخة صغيرة، لفتت انتباه الرجلين إلى مصيرهم المباشر.

سحب القرد بجانب الحفرة رافعة معدنية طويلة. صدرت بقبقة من الفقاعات مع انطلاق الهواء من الماء في الحفرة أسفل الأسرى الثلاثة، وفي الوقت نفسه بدأت المياه ترتفع ببطء.

قام الحارس الآن بفك حبل كل قفص، وخفضه بحيث أصبحت قمم الأقفاص تحت سطح الأرض داخل الحفرة؛ ثم أعاد ربط الحبال ووقف لبعض الوقت عند الحافة، ينظر إلى أسفل، نحو الأسرى الذين لا حول لهم ولا قوة.

قال ساخرًا: «الماء يرتفع ببطء، وهكذا لديَّ وقت الآن لأنام قليلًا».

من الغريب سماع كلمات تصدر من فم الوحش. كانت بالكاد واضحة؛ فعلى الرغم من أن المخ البشري في جمجمة القرد هو من يوجه الكلمات، فإن عضلات الحنجرة في حلق المخلوق لم تكن عادة مُجهزة لمهمة الكلام البشري المتخصصة.

رقد الحارس على الحافة، ومدد جسمه الضخم الممتلئ.

وتمتم بسرور: «صرخات موتكم ستوقظني، عندما يبدأ الماء في تطويق أقدامكم وتبدأ الزواحف في خدشكم بمخالبها من خلال قضبان أقفاصكم»؛ ثم انقلب القرد وبدأ في الشخير.

وعندئذ رأى الأسرى الثلاثة الأعين المائلة الشريرة، وصفوف الأسنان الوامضة، لعشرات الوجوه البشعة الزاحفة التي تحدق بهم بجشع من المياه المتصاعدة أدناهم.

قال تارس تاركاس: «يا للبراعة»، دون أن يُظهِر وجهه الجامد أي دليل على الخوف أكثر من وجه رجل الأرض، «وعندما تغمرنا المياه جزئيًّا، ستصل الزواحف إلينا بمخالبها وتبدأ في تمزيقنا إلى أشلاء – وإذا بقيت فينا أي حياة، فإن ارتفاع المياه سيغرقها عندما يغمر في النهاية قمم أقفاصنا».

قالت ديجاه ثوريس لاهثة: «يا للفظاعة!».

كانت عينا جون كارتر مثبتتين على حافة الحفرة. لم يكن بإمكانه أن يرى من قفصه سوى أحد قدمي الحارس، الذي رقد نائمًا عند حافة الحفرة.

طلب كارتر من الآخرين أن يصمتا، وبدأ يتأرجح بجسده ذهابًا وإيابًا وهو يمسك قضبان القفص. إذا أمكنه فحسب أرجحة القفص...!

ارتفع الماء إلى حوالي عشر أقدام تحت أقفاصهم.

بدا الوقت أبديًّا قبل أن يتمكن من تحريك القفص الثقيل قليلًا. تسع أقدام إلى سطح الماء، ثم تلك الأعين البشعة المحدقة وتلك الأسنان البراقة!

زاد تأرجح القفص قليلًا الآن، في تناسب مع إيقاع جسم رجل الأرض المتمايل باستمرار.

ثماني أقدام، سبع أقدام، ست أقدام ويقترب الماء. هناك حوالي عشرة زواحف في الماء تحت الأسرى - عشرة أزواج من الأعين الضيقة الشريرة تحدق بثبات نحو الفريسة.

أخذ القفص يتأرجح بسرعة أكبر.

خمس أقدام، أربع أقدام، وتارس تاركاس وديجاه ثوريس يمكنهما الشعور بتنفس الزواحف الساخن!

ثلاث أقدام، قدمان! فقط قدمان أخريان قبل أن يقطع القفص المتأرجح باطراد الماء ويُبطئ ثم يتوقف تمامًا.

لكن السجن الحديدي، المتأرجح مثل البندول، يمكن أن يصل إلى الحافة في أرجحته التالية؛ ولذا عندما تحرك القفص هذه المرة نحو الحافة التي يرقد عندها الحارس النائم، كان جون كارتر يعرف ضرورة أن يتصرف بسرعة.

عندما ارتطمت قضبان القفص بجدار الحفرة الأسمنتي، مدّ جون

كارتر ذراعيه بسرعة ثعبان مذهل.

أغلق أصابعه في قبضة فولاذية حول كاحل الحارس النائم.

رنت صرخة تثقب الأذن عبر الحلبة، ترددت بشكل مفزع في الحفرة المجوفة؛ إذ شعر القرد بأنه يستيقظ فجأةً من سباته.

عاد القفص متأرجحًا إلى الجانبِ الآخر. أمسك كارتر القرد الصارخ بيده الأخرى خلال القضبان، والقفص يتأرجح فوق الماء. كان على الزواحف أن تخفض رؤوسها، بينما القفص يتحرك فوقها عن قرب مع ارتفاع الماء.

«عمل جيد، يا جون كارتر»، جاءت كلمات تارس تاركاس المتوترة وهو يمد يده ويمسك القرد بأيديه الأربع الجبارة. وفي الوقت نفسه، تناثر الماء عند توقف قفص كارتر فجأة؛ فقد اصطدم بسطح الماء.

– أمسكه، يا تارس تاركاس، بينما أسحب المفتاح من رقبة الوغد. ها هو، لقد حصلت عليه!

كانت المياه تتدفق فوق قيعان الأقفاص. مد أحد الزواحف ذراعه الشبيهة بالقرن إلى قفص ديجاه ثوريس، في محاول للإمساك بجسدها بمخالبه الحادة ذات الكُلّاب.

قذف تارس تاركاس جسد القرد بكل قوة عضلاته العملاقة نحو الزواحف مباشرة، بجانب قفص الفتاة.

صاحت ديجاه ثوريس: «بسرعة، جون كارتر، أنقذ نفسك بينما يتقاتلون على جسد القرد».

ردد تارس تاركاس: «نعم، افتح قفصك واخرج بينما لا يزال هناك وقت».

رفعت نصف ابتسامة زاوية فم كارتر وهو يتأرجح لفتح باب سجنه، ثم قفز إلى أعلى قفص ديجاه ثوريس.

قال رجل كوكب الأرض: «سوف أبقى وأموت معكما، ولن أهجركما الآن».

سرعان ما تمكن كارتر من فتح باب سجن الأميرة. لكنه ما إن وصل إلى أسفل لرفع الفتاة، حتى اندفعت الزواحف إلى القفص مع الأميرة.

في ثانية سريعة، كان كارتر داخل قفص الفتاة. كانت رُكبتاه تغوصان بالفعل في المياه، وهو يلقي بنفسه على ظهر المخلوق الزاحف. تثبتت ذراع فولاذية بإحكام حول رقبة المخلوق. واندفعت الرأس إلى الخلف في الوقت المناسب، حيث كان الفكان الضخمان ينغلقان على بعد شبر واحد فقط من جسد الفتاة.

أمرها جون كارتر: «تسلقي، ديجاه ثوريس، إلى أعلى القفص!». أطاعته الفتاة، فقام كارتر بسحب المخلوق الزاحف، العاجز والمتخبط، نحو باب القفص، حيث بدأت وحوش لزجة أخرى تدخل. استخدم كارتر الوحش كدرع أمامه، وشق طريقه إلى الباب.

تمكن خلال لحظة من تحرير قبضته، وصعد فوق القفص مع الفتاة.

كما نجح بعد لحظة أخرى في فتح باب قفص تارس تاركاس. وبعد أن تأرجح الرجل الأخضر بجانبهم دون وقوع حادث، تسلق الثلاثة الحبال إلى السقالات أعلاه، ثم نزلوا إلى الأرض بجانب الحفرة.

«شكرًا إيسوس»، تنفست الفتاة وهم يجلسون لاستعادة أنفاسهم. اتكأت برأسها الجميل على كتف كارتر، الذي داعب شعرها الأسود الجميل مطمئِنًا.

وقف الآن رجل كوكب الأرض. أشار له تارس تاركاس من مكان عبر الحلبة.

«لقد تركوا هناك، في الداخل، بعض طيور المالاجور»؛ ناداه تارس تاركاس من مدخل الكهف داخل الحفرة التي خرجت منها ركوبة بيو موجل.

هتف كارتر: «جيد! قد توجد فرصة للوصول إلى هيليوم ومساعدتها».

تمكنوا خلال لحظات من الإمساك بطائرين، وارتفعوا فوق مدينة كورفاس القديمة.

رصدا طائراتهما على مشارف المدينة، حيث تركاهما في الليلة

التي خُدِعا فيها ليقبض عليهما بيو موجل.

وإنما، لخيبة أملهم، وجدوا لوحات التحكم مُدمَّرة على نحو يتعذر إصلاحه، ولذلك اضطروا لمواصلة رحلتهم على ظهور الملاجور.

على أن طيور المالاجور أثبتت أنها سريعة. وبحلول ظهر اليوم التالي، وصل الثلاثي إلى مدينة ثارك، التي يسكنها مائة ألف محارب أخضر، وحاكمهم هو تارس تاركاس.

وبعد أن تجمع المحاربون في ساحة السوق، أوضح تارس تاركاس وجون كارتر الخطر الذي يواجه هيليوم، وطلبا منهم الدعم والانضمام لمساعدة حلفائهم.

هتف المحاربون الأقوياء بالموافقة في صوت واحد. وبزغ فجر اليوم التالي على قافلة طويلة من الجنود فوق حيوانات الثوات، يتدفقون من بوابات المدينة نحو هيليوم.

كما تم إرسال رسول على مالاجور إلى مستنقعات تونول، في محاولة لتحديد موقع كانتوس كان، وحثه على العودة إلى هيليوم بأسطوله للمساعدة في الدفاع عنها.

تخلى تارس تاركاس عن طائر المالاجور الذي يركبه كي يستخدمه هذا الرسول، في مقابل أن يركب هو فوق ظهر ثوات على رأس محاربيه. وأعلاه مباشرة، ركب جون كارتر وديجاه ثوريس المالاجور الآخر.

الفصل (٩)

الهجوم على هيليوم

كان جون كارتر وديجاه ثوريس يسبقان المحاربين المتقدمين، بغية الاستطلاع من فوق ظهر المالاجور؛ وكانا أول مَن شاهد مدينة هيليوم المحاصرة.

سطع ضوء القمر. نظرت الأميرة نحو هيليوم عبر الوادي الفسيح، وأطلقت صرخة صغيرة تنم عن خيبة الأمل. فقد كانت قوات بيو موجل تحاصر مدينة جَدها وتحيطها بالكامل.

قالت باكية: «مدينتي المسكينة!»؛ يمكن بسهولة، في ضوء القمر الساطع أدناه، تمييز الفجوة الهائلة في أسوار تلك المدينة الجميلة، فضلًا عن العديد من مبانيها المسحوقة والمحطمة.

أمر جون كارتر المالاجور تخاطريًّا بالهبوط فوق قمة عالية في الجبال المطلة على وادي هيليوم.

قال كارتر: «أنصتي». كان مدفع بيو موجل الخفيف والأسلحة الصغيرة تبدأ في فتح النار ثانية مع حلول ضوء القمر. «إنهم يستعدون لهجوم جوي».

وفجأةً ارتفع خلف سفحي جبلين يقعان بين الوادي والقمم الشاهقة، جيش بيو ماجل الهائل الطائر.

صاحت ديجاه ثوريس: «إنهم يقتربون من جميع الجوانب».

كانت المخلوقات المُجنحة الهائلة، وراكبوها من القردة الضخمة، تنقض بلا هوادة على المدينة. ارتفع عدد قليل فقط من طائرات هيليوم لخوض المعركة.

قال رجل كوكب الأرض: «لا بد أن كانتوس كان اصطحب معه كل أسطول هيليوم تقريبًا. يدهشني أن هيليوم صمدت أمام الهجوم كل هذه المدة».

أجابت الأميرة: «لا بد أنك تعرف شعبي الآن، يا جون كارتر».

قال كارتر: «إن نيران المشاة والنيران المضادة للطائرات المتحصنة فى هيليوم تبلي بلاء حسنًا. انظري إلى تلك الطيور، إنها تهبط على الأرض».

أجابت الفتاة: «لا يمكنهم الصمود لفترة أطول؛ فتلك القرود تلقي القنابل على المدينة مباشرة، وهي تنقض موجة تلو الأخرى - أوه، جون كارتر، ماذا يمكننا أن نفعل؟».

اختفت ابتسامة جون كارتر القتالية القديمة، التي عادة ما تظهر في أوقات الخطر، وأفسحت الطريق لتعبير صارم وخطير.

شاهد كارتر أسفله أقدم وأقوى مدينة على المريخ تغزوها قوات بيو موجل. وإذا تسلح الرجال الآليون بموارد هيليوم الهائلة، بإمكانهم التقدم وقهر جميع الأمم المتحضرة على المريخ.

خمسون ألف سنة من علوم المريخ وثقافته سيدمرها رجل مهووس بالسلطة، هو نفسه مُنتَج اصطناعي لرجل متحضر!

كررت الفتاة سؤالها: «ألا يوجد شيء يمكننا القيام به لوقفه يا جون كارتر؟».

أجابها بحزن: «أخشى أننا لا نملك سوى القليل جدًّا، يا أميرتي. كل ما يمكننا هو توجيه محاربي تارس تاركاس الخُضر إلى نقطة متميزة استعدادًا للهجوم المضاد، والثقة في مصير رسولنا وأنه سيصل إلى كانتوس كان في وقت مناسب كي يعود لمساعدتنا».

– دون دعم من السفن الفضائية، لا يمكن لمحاربينا الخضر، وهم مقاتلون أبطال، أن يفعلوا الكثير في مواجهة تفوق أعداد جيش بيو موجل في الهواء.

عاد جون كارتر وديجاه ثوريس إلى تارس تاركاس، وأبلغاه ما شاهداه.

وافق رجل ثارك العظيم على أن محاربيه لن يستفيدوا كثيرًا من

هجوم مباشر ضد قوات بيو موجل الجوية. وتقرر أن تتمركز نصف قواته في موقع واحد، وتحاول التقدم نحو المدينة عند الفجر.

أما النصف المتبقي من المحاربين، فينتشرون في الجبال في مجموعات أصغر ويشتبكون مع العدو في حرب عصابات.

ويأملون بهذا إحباط الخطط لتدمير هيليوم، إلى أن يعود كانتوس كان مع أسطوله من السفن القتالية الجوية السريعة.

قال تارس تاركاس: «إن أسطول هيليوم، الذي يضم مجموعة مُجهزة من الطائرات القتالية، سيكون خصمًا قويًّا لكتيبة طيور بيو موجل».

أضاف جون كارتر: «شريطة أن يصل أسطول كانتوس كان إلى هيليوم قبل أن يحصن بيو موجل نفسه في المدينة، ويضع فيها مدافعه المضادة للطائرات».

طوال تلك الليلة في الجبال، وتحت غطاء شبه الظلام، أعاد جون كارتر وتارس تاركاس تنظيم قواتهم وإعادة تمركزهم. وبحلول الفجر، كان كل شيء جاهزًا.

سيقود جون كارتر وتارس تاركاس النصف المتقدم من محاربي ثارك في اندفاع شرس نحو بوابات هيليوم، وسيظل النصف الآخر في الخلف لتغطي بنادقهم بعيدة المدى هجوم رفاقهم.

على أن ديجاه ثوريس أصرت، ضد إرادة رجل كوكب الأرض،

أن تركب إلى جواره على المالاجور عند توجهه إلى المدينة.

بدأ ضوء النهار يزداد إشراقًا.

أصدر جون كارتر أمره: «استعدوا للهجوم». وكرر تارس تاركاس الأمر إلى قادة وحداته.

«استعدوا للهجوم! استعدوا للهجوم!»، ترددت العبارة عبر كتائب المقاتلين الخُضر الرائعين، ذوي الأربع أذرع، الذين يمتطون حيوانات الثوات الضخمة المضطربة ذات الثمانية أرجل.

مرت الدقائق خلال تحرك صفوف القوات. سحب المقاتلون سيوفهم الفولاذية من غمدها. وكانت المطارق، فوق المسدسات القصيرة التي تطلق أشعة قاتلة، تصلصل وهي تحتك بالسرج.

نظر جون كارتر إلى الفتاة الجالسة بشكل مستقيم وثابت خلفه.

وقال: «أنتِ شجاعة جدًّا يا أميرتي».

أجابت: «من السهل أن أكون شجاعة وأنا بالقرب من أعظم محارب على المريخ».

«هجوم!»، أصدر جون كارتر أمرًا مقتضبًا مفاجئًا.

اندفع الحشد الوحشي الثاركي أسفل الجبل وعبر السهل نحو هيليوم. وكان تارس تاركاس في المقدمة، يرفع سيفه عاليًا.

وأعلاهم، على أجنحة سريعة، ينطلق المالاجور حاملًا جون كارتر وأميرة هيليوم.

«جون كارتر، شكرًا لإيسوس!»، صاحت ديجاه ثوريس بارتياح، وهي تشير إلى الجبل البعيد الذي يبدو في الأفق.

هتف جون كارتر: «لقد عاد أسطول هيليوم. وصل رسولنا إلى كانتوس كان في الوقت المناسب!». كان أسطول هيليوم الجبار يبحر فوق الجبال، وتحلق راياته عاليًا.

سادت لحظة صمت في مواقع مدافع العدو الحصينة. فقد شاهدوا الثاركيين المهاجمين وأسطول هيليوم في وقت واحد.

ارتفعت صيحة انتصار كبيرة بين صفوف المحاربين المهاجمين عند رؤية أسطول هيليوم يندفع لمساعداتهم.

صاحت ديجاه ثوريس لكارتر: «استمع، إنها أجراس هيليوم تدق أغنية النصر!». ثم بدا كما لو أن جميع بنادق بيو موجل انفجرت دفعة واحدة، كما ارتفعت من وراء التلال الحامية جحافل طيور المالاجور المُجنَّحة، وفوق ظهورهم القرود البيض ذات الأمخاخ البشرية.

انقضت على حشود الثاركيين موجات متتالية من أسراب طيور بيو موجل. كانت الطيور تنقض بأسلوب خاطف على المحاربين الخُضر متجنبة سيوفهم. وبعد أن ينسحب كل طائر من غوصه، يقوم القرد الجالس فوقه بإفراغ بندقية الذرية القاتلة في كتلة المحاربين أسفله.

كانت مذبحة رهيبة. ولم يكن إلا بعد أن قاد تارس تاركاس وجون كارتر محاربيهم إلى الصفوف الأولى لحصون القرود، أن وجد

الثاركيون خصمًا يمكنهم قتاله بفعالية.

وهنا قاتل جنود ثارك الخضر، ذوي الأذرع الأربع، قتالًا مجيدًا ضد القردة البيضاء الضخمة التي تضمها جحافل بيو موجل.

بيد أن أسراب الموت الرهيبة لم تتوقف، ولو لثانية واحدة، عن هجماتها من أعلى. كانت مثل آلاف الدبابير الغاضبة؛ تحلق، وتقتل، ثم تصعد ثانية، تقتل دائمًا.

سيطر جون كارتر ببراعة على طائر المالاجور المذعور، بينما يصدر الأوامر ويوجه الهجوم من موقعه المتميز فوق مركز المعركة مباشرة.

تولت أميرة هيليوم، بشجاعة وكفاءة، حماية زعيمها من هجمات جانبية وخلفية لا حصر لها من الجو. تحول أنبوب مسدسها الراديوم إلى اللون الأحمر من سخونته، مع استمرار إطلاقها النار، وتمكنت من قتل العديد من الطيور الصارخة المهاجِمة وأسقطتها إلى المعمعة أدناه.

وفجأة ارتفعت مرة أخرى صيحات فظة من جحافل بيو موجل على الأرض وفي الجو.

صاحت الفتاة: «ما هذا يا قائدي؟ لماذا يطلق العدو صيحة الانتصار؟».

نظر جون كارتر نحو السفن التي كانت تتقدم فوق الجبال، على

بعد نصف ميل فقط، وسرت البرودة في دمه.

«العملاق – جووج العملاق!».

ظهر المخلوق من خلف قمة تل منخفض، والسفن تقترب من فوقه. أمسك العملاق جذع شجرة ضخمة في يده الجبارة.

كان بإمكان جون كارتر، حتى من موقعه، تمييز رأس رجل يجلس داخل هودج حديدي مُحاطًا بالدروع ومثبتًا في أعلى خوذة جووج.

انطلق فجأةً من شفاه العملاق هدير مدوٍّ صاخب، يتردد صداه في الجبال وعبر السهل.

ثم تسلق بسرعة إلى أعلى تلة صغيرة. وقبل أن يتمكن رجال هيليوم المندهشين من الانحراف بطائرتهم السريعة، بدأ العملاق يضرب بقوة مُستخدِمًا جذع الشجرة الضخم.

أرجحت عضلات عملاق بيو موجل الاصطناعية الهائلة ذلك السلاح الضخم وضربت به بالكامل الطائرة المتقدمة.

واجهت السفينة المتقدمة، طليعة عشرين سفينة وفخر أسطول هيليوم الجوي، الضربة وجهًا لوجه، متحطمة ومتبعثرة عند جانب الجبل، حاملة طاقمها إلى موت سريع ساحق!

* * *

الفصل (١٠)

ألفا مظلة

نجت سفينة كانتوس كان القيادية بأعجوبة من الإبادة في ضربة العملاق الأولى. فقد ابتعدت ضربة المخلوق عن سفينة القيادة ببضعة أقدام فقط.

شاهد جون كارتر وديجاه ثوريس، من موقعهما على المالاجور، العديد من السفن تعود في اتجاه الجبال؛ غير أن سفنًا أخرى لم يحالفها الحظ.

ونظرًا لاندفاع الهواء العاصف، الناتج عن ضربة العملاق الهائلة، تمايلت السفينة وخرجت بجنون عن نطاق السيطرة.

تأرجح جذع الشجرة الضخم مرارًا وتكرارًا في الجو، حيث أخذ العملاق يوجه ضربة تلو الأخرى للسفن العاجزة.

هتف جون كارتر فوق هدير المعركة: «كانتوس كان يُعيد تشكيل أسطوله»، بينما استؤنف القتال على الأرض ثانية بحماس متزايد.

صاحت الأميرة: «السفن تعود مرة أخرى، متجهة نحو هذا المخلوق الفظيع!».

أجاب رجل كوكب الأرض: «إنهم ينتشرون في الجو، ويحاول كانتوس كان تطويق العملاق!».

- ولكن لماذا؟

- انظر، إنهم يعطونه بعض قوى بيو موجل السحرية الخاصة!

كان أسطول طائرات هيليوم الهائل يندفع من جميع الجوانب. وأسرعت طائرات أخرى من أعلى. وعندما اقتربا من نطاق هدفهم الضخم، أطلق المدفعيون وابلًا متواصلًا من الرصاص والأشعة نحو جسم العملاق.

تنهدت ديجاه ثوريس في ارتياح.

وقالت: «لن يستطيع أن يصمد طويلًا!».

بيد أن جون كارتر هز رأسه بأسف، حيث بدأ العملاق في إسقاط الطائرات بغضب متجدد.

- أخشى أنه ما من جدوى. ليست الرصاصات فقط، وإنما أيضًا بنادق الأشعة ليس لها أي تأثير على المخلوق. فقد تشبع جسده بمصل اكتشفه راس ثافاس، وتنتشر هذه المادة في جميع خلايا الأنسجة وتجعلها تنمو فورًا بسرعة لا تُصدَق لتحل محل جميع اللحم الجريح أو المُدمَّر.

سألته ديجاه ثوريس مرتعبة: «تقصد أن هذا الوحش الفظيع لا يمكن تدميره أبدًا؟».

أجاب رجل كوكب الأرض: «من المحتمل أن يعيش وينمو إلى الأبد، ما لم نقم بشيء جذري لتدميره».

اشتعلت فجأة نيران الإصرار في أعين الرجل الأرضي الرمادية الفولاذية.

– قد توجد طريقة لإيقافه، يا أميرتي، وإنقاذ شعبنا...

تشكلت خطة غريبة وجريئة في ذهن جون كارتر. فقد اعتاد أن يتصرف بسرعة بناء على دافع مفاجئ. أمر المالاجور الآن بالهبوط بالقرب من رأس تارس تاركاس.

كان الرجل الأخضر يقاتل بشراسة فوق ثواته العظيم، على الرغم من معرفته أنها معركة ميؤوس منها.

صاح كارتر موجهًا حديثه إلى صديقه القديم: «عُد برجالك مرة أخرى إلى الجبال، واختبئوا هناك وأعيدوا التنظيم – وانتظر عودتي!».

وجدت النصف ساعة التالية جون كارتر والفتاة بجانب سفينة كانتوس كان القيادية. كان أسطول هيليوم العظيم قد تراجع مرة أخرى فوق الجبال، لتقييم خسائره وإعادة التشكيل استعدادًا لهجوم جديد.

من المؤكد أن ربان كل سفينة قد أدرك عدم جدوى خوض معركة أخرى ضد هذا المخلوق الذي لا يُقهَر. ومع ذلك، كانوا جميعًا على

استعداد للقتال حتى النهاية من أجل أُمتهم وأميرتهم، التي أُنقِذت مؤخرًا.

صعد رجل كوكب الأرض والفتاة إلى سفينة القيادة، ثم حرروا الملاجور العظيم الذي خدمهم بإخلاص. رحب كانتوس كان بفرح بالأميرة وهو يحني ركبته، ثم رحب بصديقه القديم.

قال كانتوس بإخلاص: «إنه لمن دواعي سروري معرفة أنكما آمنان، وهي سعادة تفوق حتى الحزن الكبير لرؤية مدينتنا هيليوم تقع في أيدي العدو».

أجاب رجل الأرض: «نحن لم نخسر بعد، يا كانتوس كان. لديَّ خطة قد تنقذنا – سأحتاج إلى عشر من أكبر طائراتكم، التي لا تسع سوى حد أدنى من الطاقم».

أجاب كانتوس كان: «سوف آمرهم بكسر التشكيل والتجمع فورًا بجوار سفينة القيادة»، واستدار لإرسال الأمر.

«انتظر دقيقة»، أضاف كارتر، «أريد أن تكون كل طائرة مجهزة بمائتي مظلة!».

«مئتا مظلة؟»، ردد كانتوس كان، «حالًا، يا سيدي!». تدافعت، على الفور تقريبًا، عشر طائرات كبيرة. كانت سفنًا خالية من القوات، توجهت في تشكيل من طابور واحد إلى جوار سفينة القيادة. ضمت كل منها طاقمًا من عشرة رجال ومائتي مظلة، بحيث وصل مجمل عدد المظلات إلى ألفي مظلة!

وقبل أن يستقل سفينة قيادة هذا التشكيل، تحدث جون كارتر إلى كانتوس كان.

قال له: «حافظ على أسطولك سليمًا حتى أعود. عليك أن تبقى بالقرب من هيليوم، وتحمي المدينة بأفضل ما يمكنك. وسأعود بحلول الفجر».

أجاب كانتوس كان متذمرًا: «لكن هذا الوحش! يجب أن نفعل شيئًا لإنقاذ هيليوم».

كان المخلوق الهائل، الذي يبلغ طوله مائة وثلاثين قدمًا، يرتدي سترة فضفاضة ذات قياس غير مناسب، ويقذف الصخور والقنابل على هيليوم. كانت أعماله تنفيذًا لإملاءات، تأتيه خلال موجة قصيرة، من بيو موجل، الذي جلس في هودج مدرع فوق رأس العملاق.

وضع جون كارتر يده على كتف كانتوس كان.

وقال لتحذيره: «لا تضيعوا المزيد من السفن والرجال دون جدوى في محاربة المخلوق. ثق بي، يا صديقي. افعل ما أقوله – على الأقل حتى الفجر!».

وضع جون كارتر يد ديجاه ثوريس في يده وقبّلها.

همست، والدموع تملأ عينيها: «وداعًا، يا زعيمي».

قال لها: «ستكونين هنا أكثر أمانًا مع كانتوس كان يا ديجاه ثوريس. وداعًا يا أميرتي». ثم قفز بخفة فوق الدرابزين إلى سطح

سفينة القوات المجاورة. آلمه أن يترك ديجاه ثوريس، لكنه يعرف أنها في أيد أمينة.

وبعد عشر دقائق، شاهدت ديجاه ثوريس وكانتوس كان الطائرات العشر السريعة تختفي في الضباب البعيد.

وبعد ذهاب جون كارتر، أطلق كانتوس الأعلام التي تحمل ألوان ديجاه ثوريس الشخصية بجانب علم الأُمة؛ حتى تعرف هيليوم كلها أن أميرتهم قد عُثِر عليها آمنة، ويتشجع الناس بوجودها بالقريب منهم.

اتبع كانتوس كان وتارس تاركاس أوامر رجل الأرض في غيابه، وامتنعا عن إلقاء قواتهما في معركة ميؤوس منها. ونتيجة لذلك، اقترب مقاتلو بيو موجل أكثر فأكثر من هيليوم؛ بينما كان بيو موجل نفسه يتولى إعداد جووج لقيادة الهجوم النهائي على المدينة الحصينة.

وبعد مرور ٢٤ ساعة بالضبط، عادت سفن جون كارتر العشر.

عندما اقترب رجل كوكب الأرض من هيليوم، فهم الوضع في لمحة. كان يخشى أن يكون الأوان قد فات؛ إذ استغرقت مهمته السرية وقتًا ثمينا أكثر مما كان يتوقع.

لكنه تنهد الآن بارتياح. لا يزال هناك وقت لتنفيذ خطته الجريئة، الخطة التي يتوقف عليها مصير أُمة.

* * *

الفصل (١١)

خطة جريئة

توجه جون كارتر إلى سفينة القيادة وحلّق بجانبها، خشية اعتراض بيو موجل، بطريقة أو بأخرى، أي إشارة للموجات القصيرة المُرسلة إلى كانتوس كان.

واصطفت خلف قائدها سفن القوات التي رافقته في مهمته السرية.

انتظر قادة السفن أوامر هذا الرجل الرائع القادم من كوكب آخر. لقد شاهدوا جون كارتر، في الساعات الأربع والعشرين الماضية، وهو ينجز مهمة لا يحلم حتى أي مريخي بمحاولة إنجازها.

سوف تحدد الساعات الأربع القادمة نجاح أو فشل خطة رائعة، كان رجل كوكب الأرض نفسه يبتسم نصف ابتسامة عند تأملها.

حتى صديقه القديم، كانتوس كان، هز رأسه بحزن عندما شرح جون كارتر نواياه بعد دخوله مقصورة سفينة القيادة ببضع دقائق.

قال: «أخشى أنها بلا جدوى يا جون كارتر. على الرغم من أن خطتك مُصممة ببراعة، فلن تفيد في مواجهة هذا الوحش الرهيب».

«مصير هيليوم بائس. وعلى الرغم من أننا سنقاتل جميعًا حتى آخر رجل لإنقاذها، فما من فائدة».

نظر كانتوس كان خلال حديثه إلى هيليوم، التي تقع على مسافة بعيدة أدناه. يمكن رؤية جووج العملاق عند السهل، يلقي الصخور الكبيرة على المدينة.

لم يفهم كارتر لماذا لم يصدر بيو موجل أمره إلى العملاق كي يدخل المدينة نفسها حتى الآن، إلا إذا كان بيو موجل يستمتع بالفعل عند مشاهدة الأثر المُدمِّر للصخور وهي تصطدم بمباني هيليوم.

في واقع الأمر، وبغض النظر عن مظهر جووج المخيف، فقد كان يخدم غرض سيده على أفضل وجه؛ إذ كان يُحدِث حاليًا ضررًا أكبر مما يمكنه تحقيقه ربما داخل المدينة نفسها.

على أنها كانت مجرد مسألة وقت قبل أن يأمر بيو موجل بهجوم عام على المدينة.

ثم تندفع قواته المُحاصِرة إلى المدينة، وتتسلق الجدران وتسحق البوابات. وتنقض القرود من أعلى لدعمهم على ظهور طيورهم السريعة، جالبين الموت والدمار من الجو.

وأخيرًا سيأتي جووج، مضيفًا الضربة النهائية لفوز بيو موجل.

أما المذبحة الرهيبة التي سوف تقع بعد ذلك على شعبه، فقد جعلت كانتوس كان يرتجف.

قال كارتر: «ليس لدينا وقت لنضيعه، يا كانتوس كان. يجب أن تؤكد لي أنكم ستنفذون أوامري حرفيًّا».

نظر كانتوس كان إلى رجل كوكب الأرض لبعض الوقت قبل أن يتحدث.

قال: «لديك كلمتي يا جون كارتر. على الرغم من أنني أعرف أن ذلك يعني موتك؛ فلا يوجد رجل، ولا حتى أنت، يمكنه أن يحقق ما تخطط للقيام به».

صاح رجل كوكب الأرض: «جيد! سوف أغادر على الفور. وعندما ترى العملاق يرفع ذراعه ويخفضها ثلاث مرات، ستكون هذه إشارتك لتنفيذ أوامري!».

وقبل أن يغادر جون كارتر سفينة القيادة، طرق على باب مقصورة ديجاه ثوريس.

«تفضل»، سمع ردها من الداخل. فتح الباب، ورأى ديجاه ثوريس جالسة على طاولة. كانت قد نقرت بإصبعها الشاشة الزجاجية التي تعرفت من خلالها على وجهة نظر كانتوس كان. نهضت الفتاة والدموع تملأ عينيها.

ناشدته قائلة: «لا تتركني ثانية يا جون كارتر. أخبرني كانتوس

كان الآن عن خطتك المتهورة - لا يمكن أن تنجح، سوف تضحي بنفسك فقط دون جدوى. ابق معي يا زعيمي، ونموت معًا!».

دخل جون كارتر الغرفة وسار إلى أميرته واحتضنها بين ذراعيه - ربما للمرة الأخيرة. وضعت رأسها على صدره العريض وبكت بوداعة. أبقاها قريبة للحظة وجيزة قبل أن يتحدث.

قال: «لقد وجدت على المريخ شعبًا حرًّا وطيبًا، تعلمت الاعتزاز بحضارته. وأميرته هي المرأة التي أحبها».

«والآن تتعرض هي وشعبها إلى خطر جسيم. وإذا كانت توجد فرصة ولو ضئيلة لأنقذكِ أنتِ وهيليوم من الكارثة الرهيبة التي تهدد المريخ كله، يجب أن أتحرك».

اعتدلت ديجاه ثوريس قليلًا على إثر كلماته، وابتسمت بشجاعة وهي تنظر إليه.

همست: «أنا آسفة، يا زعيمي. لدقيقة، أنساني حبي لك أنني أنتمي أيضًا إلى شعبي. وإذا كانت هناك أي فرصة لإنقاذهم، سأكون أنانية بفظاعة أن أمنعك. لذا اذهب الآن، وتذكر أنك إذا مت فإن قلب ديجاه ثوريس سيموت معك!».

وبعد لحظة كان جون كارتر يجلس أمام لوحات التحكم في أسرع طائرة لرجل واحد في بحرية هيليوم بأكملها.

فتح صمام السرعة لمحرك الراديوم الهادئ. شعر بالطائرة تهتز

قليلًا للحظة وهي تكتسب السرعة. رفع رجل كوكب الأرض مقدمة سفينته إلى أعلى، وارتفع بعيدًا فوق ساحة المعركة.

انحنى بالسفينة ثم انخفض. أطلقت الرياح صوت صفير خارق، حيث أدى تزايد زخم السفينة إلى تزايد سرعتها، مثل المذنب، إلى الأسفل - مباشرة نحو العملاق!

❊ ❊ ❊

الفصل (١٢)

مصير أُمة

لم يرَ بيو موجل ولا العملاق جووج بعد تلك الطائرة المنفردة وهي تغوص نحوهم من أعلى. كان بيو موجل يجلس داخل هودج مدّرع فوق خوذة جووج الهائلة، ويصدر أوامر الهجوم لقواته عن طريق موجة قصيرة.

يوجد شريط من الزجاج، يبلغ عرضه حوالي ثلاث أقدام، يحيط بالهودج تمامًا ويتيح لبيو موجل مشاهدة كاملة لقواته المقاتلة أدناه – مشاهدة لا يحدها أي شيء.

ربما لو نظر بيو موجل من الكوة الزجاجية الدائرية في قبة ملجئه الفولاذي، لرأى طائرة رجل كوكب الأرض الصغيرة السريعة تندفع نحوه من أعلى.

كان جون كارتر يراهن بحياته وحياة المرأة التي يحبها وبقاء هيليوم، على أمل ألا ينظر بيو موجل إلى أعلى.

قاد طائرته الصغيرة بسرعة مذهلة، مباشرة نحو تلك الفتحة الدائرية على قمة ملجأ بيو موجل.

يقف جووج الآن، وأكتافه تنحني إلى الأمام. أمره بيو موجل بأن ينتظر في هدوء، بينما يستكمل إرسال أوامر اللحظة الأخيرة إلى قواته.

كان العملاق في السهل، بين الجبال والمدينة. ولم يسحب كارتر صمام السرعة لخفض طائرته إلا عندما أصبح على بعد ٥٠٠ قدم فوق النافذة المستديرة الصغيرة.

لقد وصل إلى ارتفاع هائل لتجنب اكتشافه من جانب بيو موجل. وكانت سرعته لنفس الغرض.

والآن، إذا كان له أن يظل في قيد الحياة، عليه إبطاء سرعة طائرته المندفعة. يجب أن يحدث الاصطدام بالسرعة الصحيحة تمامًا.

فإذا حدث الاصطدام بسرعة كبيرة، لن ينجح إلا في قتل نفسه، دون أي ضمان أن يموت معه بيو موجل.

ومن ناحية أخرى، إذا أصبحت سرعة سفينته بطيئة للغاية، فلن تحطم أبدًا الزجاج القوي الذي يغطي الفتحة، وتخترقه. وفي هذه الحالة، سوف ترتد طائرته المُعطَّلة دون إلحاق أي ضرر بالهودج، وتحمل كارتر إلى موته في ساحة المعركة أدناه.

أصبح على بُعد مائة قدم فوق النافذة!

أغلق المحرك، وألقى نظرة سريعة على عدّاد السرعة – لا تزال السرعة كبيرة للاصطدام!

طارت يداه إلى لوحة المعدات، وسحب ثلاثة روافع. انطلقت ثلاث مظلات صغيرة خلف الطائرة، وأدت إلى تباطؤ سرعتها.

اصطدمت مقدمة السفينة بالنافذة الصغيرة!

سُحِق الفولاذ وتشقق الخشب مع انهيار مقدمة السفينة؛ ثم تحطم الزجاج الذي انتهى إلى جلجلة مرتعشة ثقيلة، والطائرة تخترق النافذة وتستقر جزئيًّا على أرضية مقصورة بيو موجل.

كان ذيل الطائرة يبرز من قمة الهودج، بينما كان بابها داخل المقصورة.

قفز جون كارتر من سفينته، وسيفه يلمع في يده.

لا يزال بيو موجل يدور بجنون في كرسيه الدوار من تأثير الاصطدام الهائل. أما سماعات أذنه وميكروفونه، الذي يوجّه به أعمال جووج وتشكيلات قواته، فقد سقطت من رأسه إلى الأرض عند قدميه.

توقف أخيرًا دورانه الأحمق، وظل بيو موجل جالسًا، يحدق غير مُصدِّق في رجل كوكب الأرض.

تورمت عيناه الصغيرتان الخالية من الجفون، وفتح فمه الملتوي

عدة مرات ليتحدث. والآن تتحرك أصابعه الملتوية في تشنج.

«امتشق سيفك، يا بيو موجل!»، قال رجل كوكب الأرض بصوت منخفض، وبالكاد ما تمكن بيو موجل من سماع الكلمات.

لم يقم الرجل الآلي بأي تحرك ليطيع كارتر.

ثم قال أخيرًا بصوت أجش: « أنت ميت!». كأن الرجل يحاول إقناع نفسه بأن ما يراه أمامه ممتشقًا سيفه ليس سوى هلوسة سيئة. استمر بيو موجل، بصعوبة شديدة في الواقع، مُحدِّقًا إلى حد أن عينه اليسرى اتخذت نفس الشكل الذي شهده كارتر من قبل في كورفاس عندما كان المخلوق منفعلًا.

فقد خرجت من محجرها وتدلت على خده.

– بسرعة، يا بيو موجل، امتشق سلاحك – ليس لديَّ وقت لأضيعه!

شعر كارتر بتزايد توتر العملاق تحته، حيث يُحرك قدميه الهائلتين بقلق. يبدو أنه لم يَشُكَّ بعد في تغيير سيده في الهودج المرتبط بخوذته؛ إلا أنه قفز بشكل ملحوظ عندما اخترقت طائرة كارتر ملجأ سيده.

انحنى كارتر والتقط الميكروفون من على الأرض.

وصاح في الميكروفون: «ارفع ذراعك».

حدثت وقفة؛ ثم رفع العملاق ذراعه اليمنى عاليًا فوق رأسه.

أمره كارتر ثانية: «اخفض ذراعك». العملاق أطاع.

كرر كارتر الأمر نفسه مرتين، وأطاعه العملاق في المرتين. ابتسم رجل كوكب الأرض. وعرف أن كانتوس كان رأى الإشارة وسيتبع الأوامر التي أعطاه إياها في وقت سابق.

مد بيو موجل يده الآن إلى جانبه، وأمسك ببندقية الراديوم.

صدرت ومضة تغشي البصر عندما سحب الزناد؛ ثم طارت البندقية بأعجوبة من يده.

فقد قفز كارتر إلى أحد الجوانب، وصدم بسيفه سلاح بيو موجل وأسقطه من قبضته.

اضطر الرجل الآن إلى سحب سيفه.

وجد جون كارتر نفسه، على رأس العملاق، يقاتل بشراسة ضد رجل المريخ الآلي، في أغرب مأزق مر به طوال حياته المليئة بالمغامرات.

لم يكن بيو موجل مبارزًا سيئًا. كان هجومه الأول غاضبًا للغاية، في واقع الأمر، بحيث ضغط بشدة على رجل كوكب الأرض ودفعه إلى الدوران في أنحاء الغرفة تفاديًا لسيل سريع من الضربات التي استهدفت عشوائيًّا كل شبر من جسده، من رأسه إلى أخمص قدميه.

كان إحساسًا مروعًا؛ أن يقاتل رجلًا تتدلى إحدى عينه على جانب وجهه. نسي بيو موجل ما حدث لعينه؛ فالرجل الآلي يستطيع أن يرى جيدًا، وعلى قدم المساواة، بأي من العينين.

دفع بيو موجل الآن برجل كوكب الأرض إلى النافذة. ونظر خلالها لمجرد لحظة.

صدر من شفتيه تعبير ينم عن المفاجأة.

❊ ❊ ❊

الفصل (١٣)

الذعر

تابعت عينا جون كارتر عينَي بيو موجل. وما رآه جعله يبتسم، وجدد أمله.

صاح: «انظر، بيو موجل. جيشك الطائر يتفكك!».

كانت الآلاف من طيور المالاجور، التي تناثرت في السماء براكبيها، تنعق بصوت أجشّ وهي تتشتت في جميع الاتجاهات. وعجز القرود فوق ظهورها عن السيطرة على خوفها المسعور. أخذت الطيور تقذف راكبيها بالجملة، حيث رفرفت أجنحتها الكبيرة بجنون للهرب من ذلك الذي ظهر فجأة في السماء بينهم.

اتضح على الفور سبب طيرانهم المذعور.

امتلأ الجو بالمظلات، ويتدلى من كل مظلة جرذ مريخي بثلاث أرجل - العدو التاريخي لكل طائر مريخي!

شاهد كارتر، خلال اللمحة السريعة التي ألقاها، تلك المخلوقات تسقط من سفينة القوات التي كان قد حمّلها بهم خلال غيابه الساعات الأربع والعشرين الماضية.

كانت أوامره تُتبع تمامًا.

سرعان ما تهبط الجرذان بين قوات بيو موجل التي تحاصر المدينة.

عاد الآن انتباه جون كارتر إلى الخطر المباشر الذي يواجهه.

تمايل بيو موجل بشراسة نحو رجل كوكب الأرض. شق السيف كتفه، وتدفقت الدماء أسفل ذراعه البرونزي.

سرق كارتر نظرة أخرى إلى أسفل. ستحتاج تلك الجرذان إلى دعم عندما تهبط في الخنادق.

جيد! يركض محاربو تارس تاركاس الخُضر ثانية للخروج من التلال، دون أي عائق الآن من نيران العدو القاتلة من أعلى.

صحيح أن الجرذان عندما تهبط سوف تهاجم أي شيء في طريقها، لكنَّ محاربي الثارك الخُضر يركبون على أسطول من حيوانات الثوات، والقردة لا تمتطي أي شيء. فلا أي مالاجور سيبقى عندما يرى أكثر خصم يكرهه.

تراجع بيو موجل ثانية الآن بالقرب من النافذة. شاهد كارتر بطرف عينه أسطول كانتوس كان الجوي يطير متجهًا نحو جحافل

قرود بيو موجل في أسفل.

مد بيو موجل فجأةً يده الحرة إلى أسفل.

أمسكت أصابعه بالميكروفون الذي أسقطه كارتر عندما هاجمه بيو موجل في البداية.

رفع المخلوق الميكروفون إلى شفتيه، وتحدث قبل أن يتمكن رجل الأرض من منعه.

صاح: «جووج! اقتل! قتل! اقتل!».

وفي الثانية التالية، أطاح سيف جون كارتر برأس بيو موجل عن كتفيه.

انحنى رجل كوكب الأرض ليمسك بالميكروفون بعد أن سقط من يد المخلوق؛ لكنه واجه جسم بيو موجل مقطوع الرأس، مندفعًا بتهور في الغرفة ولا يزال يحمل أسلحته اللامعة.

تدحرجت رأس بيو موجل على الأرض، صارخًا بوحشية، وجووج يتحرك إلى الأمام لطاعة آخر أمر أصدره سيده: القتل!

اهتزت رأس جووج ذهابًا وإيابًا مع كل خطوة هائلة يتخذها. وكان جون كارتر يندفع بقوة داخل المقصورة الضيقة مع كل خطوة.

تخبط جسم بيو موجل، مقطوع الرأس، على الأرض وهو يضرب بجنون بالسيف الذي يمسكه في يده.

صرخ رأس بيو موجل، قافزًا في جميع أنحاء المكان: «لا يمكنك

قتلي. لا يمكنك قتلي. أنا رجل آلي من صُنع راس ثافاس. أنا لا أموت أبدًا. أنا لا أموت أبدًا!».

انفتح باب المدخل الضيق للهودج، عندما اصطدمت بترباسه بعض الأجسام الطائرة.

سار جسم بيو موجل ببلاهة من خلال الفتحة، وسقط مندفعًا إلى الأرض البعيدة.

رأت رأس بيو موجل المشهد وصرخت في فزع؛ ثم نجح كارتر في الإمساك بالرأس من الأذن وإلقائها خلف الجسم.

كان يسمع الرأس تصرخ طوال طريقها إلى أسفل؛ ثم توقفت صرخاتها فجأة.

يقاتل جووج بضراوة الآن بالسلاح الذي اقتلعه للتو.

جأر قائلًا: «أنا أقتل! أنا أقتل!»، وهو يضرب بهراوته الضخمة طائرات هيليوم خلال تحليقها فوق الخنادق.

على الرغم من اهتزاز الهودج بعنف، تشبث كارتر بالنافذة. كان يرى الجرذان تهبط بالعشرات، وتندفع بشراسة نحو القردة في الخنادق.

كان محاربو تارس تاركاس الخُضر هناك الآن أيضًا؛ يقاتلون بشكل مجيد بجانب قائدهم العظيم ذي الأربع أذرع.

بيد أن هراوة جووج الضخمة كانت تجز مائة مقاتل في كل مرة

يضرب بها بالقرب من الأرض.

يجب إيقاف جووج بطريقة ما!

حاول جون كارتر الوصول للميكروفون الذي كان ينزلق في أنحاء الأرضية. لم يتمكن أول مرة، لكن أصابعه نجحت في الإمساك به في المرة الثانية.

صاح كارتر في الميكروفون: «جووج، توقف! توقف!». أوقف المخلوق الضخم، لاهثًا وهادرًا، مذبحته الشرسة. وقف منحنيًا، والكراهية الصارخة الحاقدة تموت ببطء في عينيه، بينما يستمر عنف المعركة عند قدميه.

تفرقت القرود تمامًا الآن. خرجت من الخنادق راكضة نحو الجبال، تلاحقها الجرذان الشريرة الشرسة، فضلًا عن محاربي تارس تاركاس الخُضر.

رأى كارتر سفينة كانتوس كان القيادية تحوم بالقرب من رأس جووج.

وخشية أن يوجه جووج إلى السفينة بحمولتها الثمينة ضربة غاضبة، أشار رجل كوكب الأرض إلى السفينة كي تبقى على ارتفاع كبير.

ثم تردد أمره مرة أخرى في الميكروفون.

- جووج، عليك أن تستلقي. عليك أن تستلقي!

استقر جووج على الأرض، مثل وحش جارح مُتعَب، وسط جثث مَن قتلهم.

قفز جون كارتر من الهودج إلى الأرض. كان لا يزال قابضًا على الميكروفون، الذي تم ضبطه على موجة قصيرة في جهاز وُضِع في أذن جووج.

صاح كارتر مرة أخرى: «جووج! اذهب إلى كورفاس. اذهب إلى كورفاس».

حملق الوحش في رجل كوكب الأرض، على مسافة تقل عن عشر أقدام من وجهه، وزمجر.

* * *

الفصل (١٤)

نهاية المغامرة

كرر رجل كوكب الأرض الأمر ثانية لجووج العملاق. تلاشت الزمجرة الآن من شفتَي الوحش، وخرج من صدره صوت لا يختلف عن التنهيدة وهو ينهض على قدميه مرةً أخرى.

استدار جووج ببطء، ومشى متثاقلًا عبر السهل في اتجاه كورفاس.

لم يكن قبل مرور عشر دقائق، بعد أن اندفع جنود هيليوم من مدينتهم وأحاطوا برجل كوكب الأرض وأميرتهم، أن رأى جون كارتر، وهو يحتضن ديجاه ثوريس بقوة بين ذراعيه، رأس جووج تختفي فوق الجبال على بُعد.

«لماذا تركته يذهب، يا جون كارتر؟»، سأل تارس تاركاس، وهو يمسح الدم من نصله على جلد حيوانه الثوات الذي يتصبب عرقًا.

كرر كانتوس كان: «نعم، لماذا، وكان في قبضتك؟».

استدار جون كارتر وألقى نظرة على ساحة المعركة.

أجاب جون كارتر: «إن كل الموت والدمار الذى حدث هنا اليوم لم يكن بسبب جووج، وإنما بسبب بيو موجل. جووج ليس مؤذيًا الآن، بعد أن مات سيده الشرير. لماذا نضيف موته إلى كل الآخرين، حتى لو كان بإمكاننا قتله - وهو ما أشك فيه؟».

ظل كانتوس كان يراقب الجرذان تختفي في الجبال البعيدة، سعيًا وراء القرود الضخمة الخرقاء.

وأخيرًا قال بتعبير غريب على وجهه: «أخبرني يا جون كارتر، كيف تمكنت من الإمساك بتلك الفئران الشريرة، وتحميلها في سفن القوات، بل وربطها بأحزمة المظلات؟».

ابتسم جون كارتر، وقال: «كانت مسألة بسيطة حقًّا. لقد لاحظت في كورفاس، عندما كنت سجينًا في مدينتهم تحت الأرض، أنه لا توجد سوى وسيلة واحدة لدخول الكهف الذي تعيش فيه الجرذان - نفق واحد يمتد لمسافة قبل أن يتفرع، على الرغم من وجود فتحات في السقف أعلاه؛ لكنها بعيدة المنال.

«لقد قُدّت رجالي إلى ذلك النفق، وأشعلنا حريقًا بدخان هائل من الحطام الموجود على الأرض أعلاه. حمل تيار الهواء الطبيعي الدخان إلى داخل الكهف.

«امتلأ المكان بالدخان لدرجة أن عشرات الجرذان فقدت الوعي بسبب نقص الأكسجين، فقد حالت النيران دون خروجها في النفق - وسيلتها الوحيدة للهرب. دخلنا بسهولة بعد ذلك، وسحبنا عدد الجرذان الذي نحتاجه وقمنا بتحميلها في سفن قواتنا».

صاح كانتوس كان: «ولكن، المظلات! كيف تمكنت من ربطها بظهورهم، أو منعهم من تمزيقها عندما استعادت تلك المخلوقات وعيها في النهاية؟».

أجاب رجل كوكب الأرض: «لم يستعيدوا وعيهم حتى اللحظة الأخيرة. أبقينا المقصورة الداخلية لكل سفينة من سفن القوات مليئة بما يكفي من الدخان لإبقاء الفئران فاقدة للوعي طوال الطريق إلى هيليوم. وبالتالي كان لدينا متسع من الوقت لنُعلِّق المظلات على ظهورهم. ولم تخرج الجرذان إلى الجو إلا بعد أن دفعها رجالي خارج السفن».

أومأ جون كارتر نحو المخلوقات التي أخذت تختفي في الجبال. وقال: «كانوا ممتلئين حيوية ويقاتلون بجنون عند وصولهم إلى الأرض، كما رأيت»، ثم أضاف: «لقد خرجوا ببساطة من أحزمة مظلاتهم عندما هبطوا، وقفزوا وراء أي شخص يرونه».

وختم كلامه قائلًا: «أما بالنسبة للمالاجور، فهي طيور - والطيور، سواء على كوكب الأرض أو المريخ، لا تحب الثعابين أو الجرذان. كنت أعرف أن هؤلاء الملاجور سوف يفضلون المناطق المحيطة

الأخرى عندما يرون ويشمون رائحة أعدائهم الطبيعيين في الهواء من حولهم!».

نظرت ديجاه ثوريس إلى زعيمها، وابتسمت.

تساءلت قائلة: «هل كان يوجد مثل هذا الرجل من قبل؟ هل كل رجال كوكب الأرض مثلك؟».

احتفلت هيليوم كلها في تلك الليلة بانتصارها. اكتظت شوارع المدينة بالناس يضحكون. اختلط محاربو ثارك الخُضر الأقوياء بمحاربي جيش هيليوم المقاتل في أخوة مشتركة.

ونظّم القصر الملكي وليمة كبيرة تكريمًا لخدمات جون كارتر لهيليوم.

أما تاردوس مورس العجوز، الجَد، فقد كان منفعلًا ومتأثرًا لإنقاذ مدينته من أيدي عدوها، فضلًا عن عودة حفيدته سالمة، لدرجة أنه ظل للحظات غير قادر على التحدث، عندما نهض أمام مائدة الطعام لتقديم شكر المملكة إلى رجل كوكب الأرض.

وعندما تحدث أخيرًا، صاغ كلماته ببساطة كحاكم عظيم مهيب. لمس قلب رجل كوكب الأرض بعمق ذلك الامتنان الشديد من هؤلاء الناس.

في وقت لاحق من تلك الليلة، وقف جون كارتر وديجاه ثوريس وحدهما على شرفة تطل على الحدائق الملكية.

حلّق قمرا المريخ بمهابة عبر السماء، ما أدى إلى سقوط ظلال الجبال البعيدة بجمال خلاب دائم التغيُّر فوق السهل والغابة.

واندمجت حتى ظلال الشخصين على الشرفة الملكية رويدًا، فأصبحا شخصًا واحدًا.

❊ ❊ ❊

الرواية الثانية

رجال الهياكل العظمية في كوكب المُشترى

مقدمة

نادرًا ما أقرأ مقدمة أي كتاب، لا سيما أنني لا أحب المقدمات. مع ذلك، يبدو أنني نادرًا ما أكتب قصة دون فرض مقدمة طويلة يعاني منها قرائي. وأقوم أيضًا، في بعض الأحيان، بإدخال الطقس والمشاهد الطبيعية في أعمالي الكلاسيكية الخالدة؛ وهما مثالان آخران من الابتزاز الأدبي الذي أشجبه بوجه خاص في كتابات الآخرين. على أن هناك شيئًا يمكن قوله كتبرير جزئي للكتابة عن أحوال الطقس والمشاهد الطبيعية التي تسهم كثيرًا، بالإضافة إلى استخدم النعت، في تخفيف أعباء المؤلفين، وزيادة عدد كلمات مؤلفاتهم.

بيد أنه لا يوجد عذر يُذكر بالنسبة للمقدمات؛ ولن يوجد أي عُذر إذا كانت هذه القصة قصتي. لكنها ليست قصتي؛ إنها قصة جون كارتر، وأنا مجرد ناقل لها.

احترسوا! يمسك جون كارتر بسيفه في يده.

إدجار رايس بوروز

الفصل (١)

الخيانة

أنا لست عالمًا. أنا مقاتل. السيف هو سلاحي المحبوب، ولم أرَ خلال حياتي الطويلة أي سبب لتغيير نظرياتي عن استخدامه الصحيح في العديد من المشاكل التي واجهتها. وهذا لا ينطبق على العلماء؛ فهم يتخلون باستمرار عن نظرية لصالح نظرية أخرى. قانون الجاذبية يدور حول النظرية الوحيدة التي صمدت طوال حياتي - وإذا بدأ كوكب الأرض فجأةً في الدوران بسرعة أكبر بسبع عشرة مرة من سرعة دورانه الآن، فسوف يخذلنا حتى قانون الجاذبية، وسنبحر جميعًا في الفضاء.

نظريات تجيء ونظريات تذهب - أعني النظريات العلمية. أتذكر نظرية سابقة عن أن الزمن والمكان يتحركان إلى الأمام باستمرار في خط مستقيم. وكانت هناك أيضًا نظرية مفادها أن الزمان والمكان غير موجودين - بل كل شيء يوجد في عين عقلك. ثم جاءت نظرية تطرح

أن الزمان والمكان ينحنيان على أنفسهما. وقد يقدم لنا بعض العلماء غدًا كميات هائلة من الأوراق ومئات الأقدام المربعة من السبورات المغطاة بالمعادلات، والصيغ، والعلامات، والرموز، والرسوم البيانية، لإثبات أن الزمان والمكان ينحنيان متباعدين عن بعضهما. بعد ذلك، سوف يتهاوى الكون النظري حولنا، ويصبح علينا أن نبدأ مجددًا من الصفر.

ومثلي مثل العديد من المقاتلين، أميل إلى سرعة تصديق الأشياء التي تخرج عن نطاق مهنتي؛ أو اعتدت ذلك على الأقل. اعتدت أن أصدق كل ما يقوله العلماء. فقد اقتنعت، منذ فترة طويلة، برأي فلاماريون[١٨] أن المريخ صالح للسكنى ومأهول. ثم أقنعتني مدرسة من العلماء، أحدث وأكثر شهرة، أنه غير مأهول ولا صالح للسكنى. كنت مضطرًّا إلى تصديقهم، دون أن أفقد الأمل، إلى أن جئت إلى المريخ لأعيش. وهم لا يزالون يصرون على أن المريخ غير صالح للسكنى أو مأهول، لكنني أعيش هنا. تبدو الحقيقة والنظرية متعارضتين. ومما لا شك فيه أن العلماء يبدون على صواب من الناحية النظرية. ومما لا جدال فيه، بالقدر نفسه، أنني على حق في الواقع.

وفي المغامرة التي على وشك أن أرويها، سوف يبدو الواقع والنظرية متعارضين ثانية. أكره أن أفعل هذا بأصدقائي العلماء الذين

(١٨) نيقولاس كميل فلاماريون *Nicolas Camille Flammarion* (١٨٤٢-١٩٢٥): مؤلف وكاتب وعالم فلك فرنسي – المترجمة.

تطول معاناتهم. لكنهم إذا استشاروني أولًا فقط، بدلًا من طرح فروض نظرية جامدة لا تتفق والحماس الشعبي، فسوف يوفرون على أنفسهم الكثير من الإحراج.

* * *

كنت أجلس مع ديجاه ثوريس، أميرتي التي لا تُضاهى، على مقعد منحوت في إحدى حدائق قصرنا في هيليوم الصغرى عندما اقترب ضابط يرتدي جلود ضباط تاردوس مورس، جيداك هيليوم، وحيّانا.

قال: «مِن تاردوس مورس إلى جون كارتر، كاور! يطلب الجيداك حضورك على الفور في قاعة الجيداك في القصر الإمبراطوري في هيليوم الكبرى».

أجبته: «سأذهب حالًا».

سألني الضابط: «هل لي أن أطير بك يا سيدي؟ لقد أتيت في طائرة ذات مقعدين».

أجبته: «شكرًا. سأنضم إليك في الحظيرة بعد لحظات». حيّانا الضابط ثم انصرف.

سألتني ديجاه ثوريس: «مَن هذا الضابط؟ لا أذكر أنني رأيته من قبل».

– ربما كان أحد الضباط الجدد من زور، الذي كلفه تاردوس مورس بالعمل في حرس الجيداك. كانت لفتة منه ليؤكد لزور أن لديه

ثقة قصوى في ولاء تلك المدينة، وكوسيلة لعلاج الجروح القديمة.

تقع مدينة زور على بُعد حوالي ثلاثمائة وثمانين ميلًا جنوب شرق هيليوم، وهي واحدة من أحدث فتوحات هيليوم بعد أن أصابنا منها قدرًا كبيرًا من المتاعب في الماضي بسبب الأفعال الخائنة بتحريض من أحد فروع عائلتها الملكية بقيادة الأمير مولتيس بار. منذ حوالي خمس سنوات، قبل وقوع الأحداث التي على وشك أن أرويها، اختفى مولتيس بار هذا؛ ومنذ ذلك الحين، لم تسبب لنا مدينة زور أي مشكلة. لا أحد يعرف ماذا آل إليه حال الرجل؛ وكان من المفترض أنه إما قام بالرحلة الأخيرة الطويلة عبر نهر إيس[١٩] إلى بحر كوراس المفقود[٢٠] في وادي دور[٢١]، وإما قبض عليه حشد من الرجال الخُضر المتوحشين وقتلوه. لم يهتم أحد بالأمر – ما حدث أنه لم يعُد أبدًا إلى زور، حيث كان مكروهًا تمامًا لغطرسته وقسوته.

قالت ديجاه ثوريس: «آمل ألا يُبقيك جدي المبجل طويلًا. لدينا بعض الضيوف على العشاء الليلة، وأتمنى ألا تتأخر».

---

(١٩) نهر إيس: النهر الوحيد المتبقي على المريخ، و لعصور طويلة ظلت الأعراق المريخية الخضراء والحمراء تتخذ طواعية رحلة الحج إلى نهر إيس عند بلوغ سن ألف عام، حيث يعتقدون أنهم سيجدون عنده الحياة الأخرى – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Riv-er_Iss* – المترجمة.

(٢٠) كوراس: هو بحر مريخي مفقود. وكان يملأ المنطقة التي تُسمى وادي دور، في الأيام التي كانت فيها المياه وفيرة – *https://barsoom.fandom.com/wiki/Korus* – المترجمة.

(٢١) وادي دور: يقع عند نهاية نهر إيس المحيط ببحر كوراس المفقود– *https://barsoom.fandom.com/wiki/Valley_Dor* – المترجمة.

قلتُ: «عدد قليل من الضيوف؟ كم؟ مئتان أو ثلاثمائة؟».

قالت ضاحكة: «لا تكن سخيفًا، عدد قليل فقط بالفعل».

قلتُ لها مؤكِدًا، وأنا أُقبِّلها: «ألف شخص يا عزيزتي، إذا كان هذا يرضيكِ. والآن، وداعًا! سأعود بلا شك في غضون ساعة»، كان ذلك قبل عام!

صعدتُ المنحدر المُفضي إلى الحظيرة على سطح القصر. ولسبب ما لا أعرفه، شعرت بتهديد وشيك؛ لكني عزوته إلى أن جلستي الحميمة مع أميرتي قد قُوطعت بسرعة.

إن الهواء الرقيق في كوكب المريخ الآخذ في الاحتضار يجعل الانتقال من النهار إلى الليل مفاجئًا بشكل مذهل بالنسبة إلى رجل قادم من كوكب الأرض. يرجع قِصر فترة الشفق إلى الانكسار الضئيل لأشعة الشمس. عندما تركت ديجاه ثوريس، كانت الشمس لا تزال مشرقة، على الرغم من انخفاضها. وكانت الحديقة في الظل، لكن ضوء النهار لا يزال موجودًا. عندما انتقلت من قمة المنحدر إلى ذلك الجزء من سطح القصر الذي يضم حظيرة الطائرات الخاصة للأسرة، حجب الشفق الخافت رؤيتي جزيئًّا. سرعان ما سيصبح المكان مظلمًا. تعجبت، لماذا لم يقم حارس الحظيرة بإضاءة الأنوار.

في اللحظة التي أدركت فيها وجود شيء ما خاطئ، أحاطت بي مجموعة من الرجال وتغلبوا عليَّ قبل أن أتمكن من سحب سيفي والدفاع عن نفسي. حذرني صوت طالبًا مني الصمت. كان صوت

الرجل الذي استدعاني إلى هذا الفخ. وعندما تحدث الآخرون، كان بلغة لم أسمعها من قبل. لغة رتيبة، كئيبة، جوفاء، وبلا تعبير، كأنها صادرة عن قبر.

ألقوا بي على الرصيف ووجهي إلى أسفل، وقيدوا معصميَّ وراء ظهري.

ثم قيدوا قدميَّ بخشونة. تمكنت الآن، وللمرة الأولى، أن أرى الخاطفين جيدًا. أصابني الفزع، ولم أستطع تصديق عينيَّ؛ فهذه المخلوقات ليست رجالًا، بل هياكل عظمية بشرية! أطلّت محاجر الأعين السوداء من الجماجم المبتسمة. أمسكت أصابع الهيكل العظمي بذراعي. بدا لي أنني أستطيع رؤية كل عظمة في كل جسم. ومع ذلك، كانت تلك الأشياء حية! كانت تتحرك، وتتحدث. جرّوني نحو طائرة غريبة لم ألحظها من قبل. كانت تقع في ظلال الحظيرة؛ طائرة طويلة، نحيلة، شريرة. بدت كقذيفة ضخمة، ذات مقدمة مستديرة وذيل مستدق.

رأيت، في أول لمحة سريعة للطائرة، زعانف أمامية أسفل خط الوسط، وجنيحًا طوليًّا طويلًا (أو هكذا تصورته) يمتد لما يقرب من طول السفينة، ومصعدًا ودفة بتصميم غريب كجزء من تركيبة مجموعة الذيل. لم أرَ أي مراوح. لم يكن لديَّ متسع من الوقت لفحص الطائرة الغريبة بدقة؛ إذ سحبوني بسرعة خلال مدخل في جانبها المعدني. كانت مظلمة جدًّا من الداخل. لم أستطع رؤية أي شيء سوى الضوء

الخافت لنهاية اليوم، الذي أراه من خلال فتحات طويلة وضيقة في جانب السفينة.

تبعني الرجل الذي خانني إلى السفينة مع الخاطفين. كان الباب مقفولًا ومُحكم الإغلاق؛ ثم ارتفعت السفينة بصمت في الليل. لم يظهر فيها أي ضوء، سواء في داخلها أو خارجها. ومع ذلك، كنت على يقين أن إحدى سفن الدورية التابعة لنا يجب أن تراها؛ وإن لم يكن هناك أكثر من ذلك، سيتمكن شعبي من تكوين فكرة عن اختفائي؛ وقبل الفجر، سوف تجوب ألف سفينة من بحرية هيليوم سطح برسوم وأجوائه العلوية بحثًا عني، ولا يمكن لأي سفينة بمثل حجم هذه السفينة أن تجد مكان اختباء لتهرب من أسطول هيليوم.

ما إن أصبحنا فوق المدينة التي كنت أرى أضواءها أسفلنا، حتى انطلقت الطائرة بسرعة مروعة. لا شيء على برسوم كان يمكنه اللحاق بها. تحركت بسرعة مذهلة وبصمت تام. كانت أنوار المقصورة مضاءة. جردوني من أسلحتي وأزالوا قيود يدي. نظرت بنفور، وبرعب، إلى المخلوقات العشرين أو الثلاثين الذين أحاطوا بي.

رأيت الآن أنهم ليسوا هياكل عظمية، على الرغم من أنهم يشبهون إلى حد كبير العظام العارية لرجال قتلى. كان جلدهم، الذي يشبه الجلود الرقيقة المخصصة للكتابة، مشدودًا بإحكام على البنية العظمية للجمجمة. ويبدو عدم وجود غضاريف أو دهون تحتها. واتضح أن ما تصورت أنه محاجر جوفاء للأعين، هو مجموعة عميقة

من الأعين بُنية اللون دون وجود أي بياض. واندمج جلد الوجه مع ما كان يجب أن يكون اللثة في جذور الأسنان، التي كانت مكشوفة بالكامل في الفكين، تمامًا مثل أسنان جمجمة. ولم تكن الأنف سوى ثقب مفتوح في وسط الوجه. ولا توجد آذان خارجية، وإنما مجرد فتحان. كما لا يوجد أي شعر على أي من الأجزاء المكشوفة من أجسادهم، ولا على رؤوسهم. كانت تلك المخلوقات أكثر بشاعة حتى من عِرق الكلدينيين البشع الذين يسكنون في منطقة بانتوم؛ أولئك الرجال العنكبوت المروعين الذين نصبوا شباكهم وأوقعوا تارا الهيليومية خلال تلك المغامرة التي قادتها إلى بلد لاعبي الشطرنج في المريخ[٢٢]؛ كانت أجسادهم جميلة، على الأقل، على الرغم من أنها لم تكن أجسادهم.

تتناسق أجسام الخاطفين تمامًا مع رؤوسهم – جلدهم الشبيه بجلود الكتابة يغطي عظام أطرافهم بإحكام، بحيث يصعب أن يقتنع المرء أنها ليست عظامًا حقيقية مكشوفة. والجلد مشدود بإحكام على جذوعهم، بحيث يبرز كل ضلع وكل فقرة في ارتياح عادي ومثير للاشمئزاز. وعندما وقفوا أمام ضوء ساطع مباشرة، رأيت أعضاءهم الداخلية.

لا يرتدون إلَّا شريطًا ضيقًا من القماش يغطي عوراتهم. أما

(٢٢) يشير هنا إلى قصة «شطرنج المريخ»، وهي القصة الخامسة في سلسلة المريخ – المترجمة.

عتادهم، فيشبه تمامًا ذلك الذي نرتديه نحن البرسوميين، وهو ليس غير عادي على الإطلاق؛ لأنه مُصمَّم لخدمة نفس الغرض: دعم السيف والخنجر والحقيبة.

أدرت وجهي مشمئزًّا ونظرت إلى أسفل، إلى سطح القمر المغمور للمريخ الحبيب. ولكن أين نحن! كان كلوروس[٢٣]، القمر الأبعد، قريبًا من الكوة! لمحت سطحه خلال طيراننا السريع. قطعنا ١٤ ألف وخمسمائة ميل في أكثر من دقيقة بقليل! هذا مذهل.

جاء الرجل الأحمر، الذي تولى تنظيم أسري، وجلس بجانبي. كان وجهه الوسيم حزينًا. قال: «أنا آسف يا جون كارتر. ربما، إذا سمحت لي بالتوضيح، سوف تفهم على الأقل لماذا فعلت ذلك. لا أتوقع أن تسامحني أبدًا».

سألته: «إلى أين تأخذني هذه السفينة؟».

أجاب: «إلى ساسوم».

ساسوم! هذا هو الاسم المريخي لكوكب المشترى، الذي يبعد بمسافة ٣٤٢ مليون ميل عن القصر، حيث تنتظرني ديجاه ثوريس!

* * *

(٢٣) كلوروس: أبعد قمري المريخ عن الكوكب الأم، ومعروف لدى سكان كوكب الأرض باسم القمر ديموس – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Cluros* – المترجمة.

الفصل (٢)

يودان

جلست لبعض الوقت في صمت، أحدق في فراغ الفضاء الأسود بلون الحبر، كخلفية جهنمية تتألق عليها النجوم والكواكب بإشراق شديد وثابت دون أن تتلألأ. كنت أرى، من الكوة أو الميمنة، من أعلى، ومن أسفل، السماء تحدق نحوي بأعين لا تومض – الملايين من الأعين البيضاء الحارة النافذة. أنهكت العديد من الأسئلة ذهني. هل اختاروني خصيصًا للإمساك بي؟ إذا كان الأمر كذلك، لماذا؟ كيف تمكنت هذه السفينة الكبيرة من دخول هيليوم، والاستقرار على منصة الهبوط فوق سطح قصري في وضح النهار؟ مَن هذا الرجل الحزين الذي اعتذر، وقادني إلى مثل هذا الفخ؟ لا يمكن أن يوجد لديه أي شيء ضدي شخصيًّا، فلم يسبق أن رأيته يدخل حديقتي.

وقد كان هو مَن كسر الصمت، كما لو أنه قرأ أفكاري. قال: «أنت تتساءل عن سبب وجودك هنا، يا جون كارتر. إذا كنت صبورًا، سوف أخبرك. اسمح لي بداية أن أقدم نفسي. أنا يو دان، بادوار[٢٤] سابق في حرس زوو تيث، جيداك زور، الذي قُتل في المعركة عندما أطاحت هيليوم بحُكمه المستبد وضمت المدينة.

«كنت متعاطفًا مع هيليوم تمامًا، ورأيت مستقبلًا رائعًا وسعيدًا لمدينتي الحبيبة عندما تصبح جزءًا من إمبراطورية هيليوم العظيمة. وقد قاتلت ضد هيليوم لأن واجبي تحت القسم أن أدافع عن الجِد[٢٥] الذي أكرهه – وحش الاستبداد والقسوة – لكنني، عندما انتهت الحرب، أقسمت بكل سرور بالولاء لتاردوس مورس، جيداك هيليوم.

«لقد تربيت في قصر الجِد بأقصى حميمية مع أفراد العائلة المالكة. كنت أعرفهم جميعًا جيدًا، لا سيما الأمير مولتيس بار، الذي كان سيصل إلى العرش في مسار الأحداث الطبيعي. كان من نوع والده، زو تيث – متغطرس، قاس، مستبد بطبيعته. وبعد سقوط زور، سعى إلى إثارة الشقاق وتحريض الشعب على الثورة. وعندما فشل، اختفى. كان ذلك قبل حوالي خمس سنوات.

---

(٢٤) بادوار: رتبة مريخية تُعادل رتبة مُلازم – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Padwar* - المترجمة.

(٢٥) جِد: الجِد هو لقب قائد مدينة أو جماعة – *http://barsoom.wikia.com/wiki/Jed* - المترجمة.

«أعرف فردًا آخر في العائلة المالكة معرفة جيدة؛ وهي امرأة اسمها فاجا، وكانت على عكس زو تيث ومولتيس بار – تمامًا مثلما النهار على عكس الليل. وهي ابنة عم مولتيس بار. لقد أحببتها، وأحبتني. كان سنتزوج. لكن فاجا اختفت في ظروف غامضة، بعد حوالي عامين من اختفاء مولتيس بار».

لم أفهم لماذا يخبرني بهذا كله. فأنا بالتأكيد لست مهتمًّا بعلاقاته العاطفية. لم أكن مهتمًّا به هو نفسه، وكنت أقل اهتمامًا بمولتيس بار، لكنني استمعت.

تابع قائلًا: «بحثت عنها. وقدم لي حاكم زور كل مساعدة ممكنة في حدود سلطته، ولكن دون جدوى. وفي إحدى الليالي، كنت بمفردي في مسكني عندما دخل مولتيس بار. لم يضيع أي وقت، ودخل في الموضوع مباشرة. قال: «أعتقد أنك تتساءل عما حدث لفاجا».

«عرفت حينذاك أن له دورًا فعالًا في اختطافها؛ وخشيت الأسوأ، لأنني أعرف نوع هذا الرجل. سحبت سيفي وسألته: «أين هي؟ أخبرني، إذا كنت ترغب في العيش».

«ضحك عليَّ وقال: «لا تكن أحمقَ. إذا قتلتني لن تراها ثانية. ولن تعرف حتى أين هي. عليك أن تعمل معي، وعندئذ يمكنك أن تستعيدها. وإنما عليك أن تعمل بسرعة، فقد بدأت أقع في حبها. هذا غريب»، ثم أضاف وهو يتذكر: «كان بإمكاني أن أعيش لسنوات في

نفس القصر معها دون أن أرى سحرها، العقلي والبدني – لا سيما البدني»».

سألته: «أين هي؟ وإذا كنت قد آذيتها، أيها الوحش ...».

«قال: «لا تشتمني، يا يو دان. إذا ضايقتني كثيرًا، قد احتفظ بها لنفسي وأجد شخصًا آخر غيرك ليساعدني في تنفيذ الخطة التي جئت لأشرحها لك. اعتقدتُ أنك ستكون أكثر عقلانية. لقد كنت رجلًا عاقلًا جدًّا؛ لكن الحب يلعب، بطبيعة الحال، حيلًا غريبة في ذهن الرجل. أنا بدأت أعرف ذلك في حالتي الخاصة». أطلق ضحكة صغيرة كريهة، ثم تابع قائلًا: «ولكن، لا تقلق. فهي آمنة تمامًا – حتى الآن. أما إلى أي مدى سيستمر أمانها، فهذا يتوقف عليك كليًّا»».

سألته: «أين هي؟».

أجاب: «حيث لا يمكنك الوصول إليها دون مساعدتي».

قلت: «سأجدها إذا كانت في أي مكان على برسوم كلها».

أجاب: «لكنها ليست في برسوم، إنها في ساسوم».

قلت له: «أنت تكذب، يا مولتيس بار».

هز كتفيه بلا مبالاة، ثم قال: «ربما تصدقها هي»، وسلمني رسالة كانت بالفعل من فاجا. أتذكر رسالتها كلمة بكلمة:»

«يبدو لك شيئًا لا يُصدّق أنني سجينة في ساسوم. لقد وعد مولتيس بار أن يأتيني بك إلى هنا إذا قمت بما تسميه خدمة صغيرة له.

أنا لا أعرف ما الذي سيطلبه منك. وإنما، ما لم يكن من الممكن القيام به بشرف، لا تفعل ذلك. أنا في أمان وسالمة».

سألته: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

«لن أحاول اقتباس كلماته بالضبط؛ لكن هذا ما قاله لي، في الواقع: يرجع سبب اختفاء مالتيس بار من زور إلى القبض عليه من جانب رجال من ساسوم. فقد كانوا يأتون لفترة إلى هذا الكوكب للاستطلاع، وفي ذهنهم غزو برسوم في النهاية».

«سألته عن السبب، وأوضح أنهم ببساطة عِرقًا مُحبًّا للحرب. كانت كل أفكارهم تدور عن الحرب، وامتد ذلك لعصور إلى أن أصبحت الروح الحربية قوية بمثل قوة الرغبة في الحفاظ على الذات. لقد غزوا جميع الشعوب الأخرى على ساسوم، ويسعون إلى غزو عالَم جديد».

«وقد قبضوا عليه ليعرفوا منه ما يمكنهم من التسليح والفعالية العسكرية لمختلف دول برسوم، وقرروا أنه بما أن هيليوم هي الأقوى، فهي التي سيهبطون عليها. ويتصورون أنهم بمجرد التغلب على هيليوم، سوف يسهل التغلب على باقي برسوم».

سألته: «وأين موقعي في مخططهم هذا؟».

أجاب يو دان: «سوف أصل في حديثي إلى ذلك. إن المورجور شعب دقيق وكفء. فهم لا يهملون أي تفاصيل صغيرة قد تؤثر على نجاح الحملة أو فشلها. ولديهم بالفعل خرائط ممتازة لبرسوم،

وبيانات كثيرة عن أساطيل الأمم الرئيسة وتسليحها. وهم يرغبون الآن في التحقق من هذه البيانات والحصول على معلومات كاملة عن تقنيات هيليوم الحربية، ويتوقعون معرفة ذلك منك. وسوف يتمكنون من ذلك».

ابتسمت قائلًا: «ليس بمقدورهم ولا بمقدورك تقييم شرف وولاء شخص هيليومي تقديرًا كبيرًا».

ظهرت ابتسامة حزينة على شفتيه. وقال: «أعرف كيف تشعر. فقد شعرت بنفس الطريقة – حتى أسروا فاجا وأصبحت حياتها ثمن رضوخي. ولم أوافق على المساعدة في هذا الفخ للقبض عليك إلا لإنقاذها. المورجور بارعون في علم النفس الفردي والجماعي، وكذلك في فن الحرب».

سألته بإيماءة إلى تلك المخلوقات البغيضة: «وهل هذه الأشياء هي المورجور؟». أومأ يو دان. قلت: «أستطيع أن أُقدر الموقف الذي وُضِعت فيه، لكن المورجور ليس لديهم أيَّ شيء ضدي».

قال يو دان: «انتظر».

سألته: «ماذا تعني؟».

– انتظر فقط. سوف يجدون طريقة. إنهم شياطين. كان يستحيل أن يقنعني أحد، قبل أن يأتي لي مولتيس بار باقتراحه، أنني سوف أُجبر على خيانة رجل أكن له الإعجاب – أنا وجميع الرجال المحترمين – مثلك يا جون كارتر. ربما أكون قد أخطأت، لكني ضعفت

واستسلمت عندما علمت أن فاجا سوف تتعرض للتعذيب والتشويه بعد أن اغتصبها مولتيس بار، وحتى عندئذ لم يسمح لها بالموت وإنما أبقاها للتعذيب في المستقبل. لا أتوقع منك أن تسامحني، وإنما آمل أن تتفهم موقفي.

قلت: «أنا أتفهم موقفك. وربما فعلت نفس الشيء، في ظل ظروف مماثلة». رأيت كيف ضميره يعذبه بشكل رهيب. ورأيت أنه رجل شريف في الأساس. يمكنني أن أسامحه على ما فعله لمخلوق بريء يحبه، ولكن هل يتوقع مني أن أخون بلدي، أخون عالمي كله، لإنقاذ امرأة لم أرها من قبل. ومع ذلك، كنت منزعجًا. بصراحة، لم أكن أعرف ما يجب أن أفعل عندما أواجه القرار النهائي. قلت: «إذا وجدت نفسي في وضع مماثل لوضعك، فعلى الأقل سوف أُظهر لهم الامتثال بينما أعمل سرًّا على هزيمة أهدافهم».

قال: «وهذا ما فكرت فيه. إنها آخر قشة أتمسك بها احترامًا لنفسي. ربما أتمكن، قبل فوات الأوان، من إنقاذ فاجا وإنقاذك».

قلت: «ربما يمكننا أن نعمل معًا لتحقيق هذه الغاية وإنقاذ هيليوم. على الرغم من أنني لست قلقًا كثيرًا بالفعل على هيليوم. فهي تستطيع الاعتناء بنفسها».

هز رأسه. قال: «ليس إن صح ولو جزء مما قاله مولتيس بار؛ أنهم سيأتون في الآلاف من هذه السفن، غير المرئية لسكان برسوم. ربما يتولى مليونان منهم غزو هيليوم واجتياح مدينتيها الرئيستين

قبل أن يدرك ساكن واحد أن هناك عدوًّا يهدد أمنهم. وسوف يأتون بأسلحة فتاكة لا يعرف البرسوميون عنها شيئًا، وبالتالي لا يستطيعون محاربتها».

صحت: «سفن غير مرئية! لقد رأيت هذا بوضوح بعد أن قبضوا علي».

«نعم»، قال، «لم تكن غير مرئية في ذلك الوقت، لكنها أصبحت غير مرئية عندما خرجت في وضح النهار أسفل مقدمات سفن الدورية الخاصة بكم، وهبطت في أحد أبرز الأماكن في هيليوم الصغرى. لم تكن خفية عندما رأيتها لأول مرة؛ لأنها ألغت خفاءها، أو بالأحرى ألغى المورجور خفاءها حتى يتمكنوا من العثور عليها مرة أخرى، لأنها ستكون غير مرئية بالنسبة لهم كما هي بالنسبة لنا».

سألته: «هل تعرف كيف يتحولون إلى وضع الخفاء؟».

أجاب يو دان: «مولتيس بار شرح لي. سأحاول أن أشرح لك؛ لكني لست عالمًا، وإنما أعتقد أنني أتذكر بشكل صحيح تقريبًا ما أخبرني به. يبدو أنه توجد على بعض شواطئ المحيط في ساسوم رمال مغناطيسية دون مجهرية، تتكون من بلورات منشورية. وعندما يرغب المورجور في تحويل سفينة إلى وضع الخفاء، يقومون بمغنطة هيكلها؛ ومن فتحات صغيرة لا تُعد ولا تُحصى في الهيكل، يغطون الجزء الخارجي كله من السفينة بهذه البلورات المنشورية. يرشون تلك البلورات ببساطة، وهي تستقر على شكل سحابة فوق الهيكل،

مما يتسبب في انحناء أشعة الضوء حول السفينة. وبمجرد إزالة مغنطة هيكل السفينة، تسقط هذه الجسيمات الصغيرة، الخفيفة كالهواء، أو تنفجر. وعلى الفور تصبح السفينة مرئية ثانية».

اقترب مورجور الآن وقاطع حديثنا. كان أسلوبه متغطرسًا ووقحًا. لم أستطع فهم كلماته؛ لأنه تحدث بلغته الجوفاء التي تبدو صادرة من قبر، وكنت قد لاحظتها من قبل.

أجاب يو دان بنفس اللغة، وإنما بنبرة أقل حيوية. ثم التفت نحوي.

قال بابتسامة ساخرة: «سيبدأ تعليمك على الفور».

سألته: «ماذا تعني؟».

أوضح قائلًا: «عليك أن تتعلم لغة المورجور خلال هذه الرحلة».

سألته: «وما طول هذه الرحلة؟ يتطلب الأمر حوالي ثلاثة أشهر لتعلُّم أي لغة جيدًا بما يكفي لفهمها والتحدث بها على نحو مفهوم».

«سوف تستغرق الرحلة حوالي ثمانية عشر يومًا، حيث علينا الالتفاف في الطريق لحوالي مليون ميل لتجنب الكويكبات التي يصدف أن تقع مباشرة في طريقنا».

سألته: «وهل من المفترض أن أتعلم لغتهم في ثمانية عشر يومًا؟».

أجاب يو دان: «ليس من المفترض فقط، وإنما سوف تتعلمها خلال تلك المدة».

الفصل (٣)

المورجور من ساسوم ...

بدأ تعليمي. كان وحشيًّا بشكل لا يمكن تصوره، لكنه أكثر فعالية. تبدّل عليَّ المدربون، وبالكاد ما أعطوني وقتًا لتناول الطعام أو النوم. ساعدنا يو دان كمترجم فوري، وكان مفيدًا للغاية بالنسبة لي، كما أنني كنت سريعًا جدًّا في تعلُم لغات جديدة. كانت تتغلب عليَّ أحيانًا قلة النوم، بحيث يتأخر ذهني عن الاستيعاب، وتصبح ردودي بطيئة وغير دقيقة. وفي إحدى هذه المرات، قام المورجور الذي يعلمني بصفع وجهي. تحملت كل شيء آخر؛ لحرصي الشديد على تعلُّم لغتهم – فهي ضرورة حيوية إذا أردت التأقلم معهم وإحباط خطتهم الهائلة للغزو. بيد أنني لم أستطع تحمل تلك الصفعة؛ فوجهت للزميل ضربة واحدة قذفت به عبر المقصورة تمامًا، لكنني كسرت يدي تقريبًا عندما وجهتها ضد فكه العظمي غير المُبطن.

لم يقم، بل رقد حيث سقط. تقدم نحوي العديد من زملائه، يمتشقون سيوفهم. بدا الوضع سيئًا؛ لأنني أعزل. ارتعب يو دان. ولحسن حظي، جذبت الضجة الضابط قائد السفينة، وجاء في الوقت المناسب وأبعد رجاله، ثم طلب تفسيرًا.

كنت قد أتقنت الآن كلمات كافية من لغتهم فأتمكن من فهم كل شيء تقريبًا يقولونه لي، وأن أعبر عن نفسي بشكل مفهوم لهم بطريقة معينة. أخبرت الزميل أنني كنت جائعًا ومحرومًا من النوم ولم أتذمر، ولكن لا يمكن لرجل أن يضربني دون أن يعاني من عواقب ذلك.

أجاب: «ولا يوجد مخلوق من رتبة أدنى يمكنه أن يضرب أحد المورجور دون أن يعاني من عواقب ذلك».

سألته: «وماذا ستفعل حيال ذلك؟».

أجاب: «لن أفعل أي شيء حيال ذلك. الأوامر التي تلقيتها تتطلب مني أن أحضرك حيًّا إلى يوروبوس[٢٦]. وبعد أن أصل بك إلى هناك وأبلغ عن تصرفاتك، سوف يقع تحديد عقابك ضمن سلطة باندوليان التقديرية»؛ قال ذلك ثم ابتعد، لكنهم أحضروا إليَّ الطعام وسمحوا لي بالنوم. لم يضربني أي مورجور آخر طوال ما تبقى من الرحلة.

سألت يو دان، خلال تناولي الطعام، عن يوروبوس. وأجاب: «إنه الاسم الذي يطلقونه على كوكب ساسوم».

---

(٢٦) يوروبوس: اسم كوكب المشتري بلغة سكانه – المترجمة.

– ومن هو باندوليان؟

– حسنًا، أعتقد يُطلَق عليه جيداك في برسوم. وأقول ذلك انطلاقًا من الإشارات العديدة التي سمعتهم يتفوهون بها حوله. على أي حال، يبدو أنه كائن مخيف إن لم يكن مُبجّلًا.

شعرت بالانتعاش بعد فترة نوم طويلة. أصبح كل ما تعلمته واضحًا مرة أخرى في ذهني، ولم يعُد الإرهاق يستنفده. ثم أخذ القائد على عاتقه اختباري شخصيًّا. وأنا على يقين أنه فعل ذلك لغرض وحيد، وهو أن يجد أي خطأ وربما يعاقبني. كان شريرًا ومتغطرسًا للغاية. طرح أبسط أسئلته في البداية بلغة ساخرة؛ وأخيرًا تركني، ومن الواضح أنه شعر بخيبة أمل. لم يعطوني المزيد من الدروس.

قال يو دان: «لقد قمت بعمل جيد. أتقنت لغتهم جيدًا على نحو يناسبهم، وذلك في فترة قصيرة جدًّا».

كان هذا هو اليوم الخامس عشر. تركوني وشأني خلال الأيام الثلاثة الأخيرة الباقية. يتسم السفر عبر الفضاء برتابة غبية. بالكاد ما نظرت خلال الكوات لعدة أيام. غير أن ذلك يرجع أساسًا إلى تكريس وقتي باستمرار للتعليم؛ أما الآن، مع عدم وجود أي شيء آخر أفعله، أخذت أتطلع من الكوات. قدّم مشهدًا رائعًا نفسه أمام عينَي المندهشة. يلوح أمامي كوكب المشتري، فائق الجمال، بكل ضخامته المهيبة. كانت خمسة من كواكبه مرئية بوضوح في السماء. بمقدوري حتى رؤية الكوكب الصغير الأقرب إليه، والذي يبلغ قطره ثلاثين

ميلًا فقط. ورأيت خلال اليومين التاليين، أو على الأقل اعتقدت أنني رأيت، جميع الأقمار الخمسة المتبقية. زاد حجم المشترى، وزادت مهابته. فقد كنا نقترب منه بسرعة كبيرة جدًّا، بلغت ثلاثة وعشرين ميلًا في الثانية؛ وإنما لا يزال أمامنا حوالي مليوني ميل.

بعد أن تحررت من رتابة دروس اللغة، استبد الفضول بذهني مرة أخرى. كيف يمكن أن توجد الحياة على كوكب زعمت إحدى مدارس الفكر العلمي أن درجة حرارة سطحه تبلغ ٢٦٠ درجة تحت الصفر، بينما زعمت مدرسة أخرى بنفس القدر من التأكيد أنه لا يزال في حالة نصف انصهار وحار جدًّا بحيث تتصاعد الغازات كبخار ساخن إلى غلافه الجوي السميك والدافئ لتسقط كمطر مستمر؟ كيف توجد الحياة البشرية في جو يتكون إلى حد كبير من الأمونيا وغازات الميثان؟ وماذا عن تأثير جاذبية الكوكب الهائلة؟ هل ستقدر ساقاي على دعم وزني؟ وإذا وقعتُ، هل سأتمكن من النهوض ثانية؟

وهناك سؤال آخر طرح نفسه على ذهني، سؤال يتعلق بقوة الدفع التي حملتنا عبر الفضاء بسرعات مذهلة لمدة سبعة عشر يومًا. سألت يو دان إذا كان يعرف.

إنهم يستخدمون الشعاع البرسومي الثامن – ما نعرفه باسم شعاع الدفع – بالإضافة إلى قوى الجاذبية شديدة التركيز من جميع الأجرام السماوية في نطاق جذبها الذي تمر به السفينة، فضلًا عن شعاع L المُرَكّز (الأشعة الكونية) الذي يجري جمعه من الفضاء وتفريغه

بسرعات عالية من أنابيب الدفع في مؤخرة السفينة. يساعد الشعاع البارسومي الثامن على إكساب السفينة سرعتها الأولية عند مغادرة الكوكب، وكفرملة لسرعتها الهائلة عند اقترابها للهبوط على كوكب آخر. أما قوى الجاذبية، فهي تُستخدم لزيادة السرعة وتوجيه السفينة. ويكمن سر نجاح هذه السفن بين الكواكب في الأساليب البارعة التي تمكنوا من تطويرها لتركيز هذه القوى المختلفة وتوجيه طاقاتها الهائلة.

قلت: «شكرًا، يو دان. أعتقد أنني فهمت الفكرة العامة. ومن المؤكد أنها ستُفاجئ بعض أصدقائي العلماء على كوكب الأرض».

قادتني إشارتي العابرة إلى العلماء للتفكير في تراكم النظريات الهائل الذي كنت على وشك رؤيته مبعثرًا، عند هبوطي على المشترى، خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة. لا بد أن الكوكب صالح للسكن لعِرق مشابه تمامًا لعِرقنا. يوجد لدى هؤلاء الناس رئتان، وقلب، وكليتان، وكبد، وأعضاء داخلية أخرى مشابهة لأعضائنا. أعرف ذلك كحقيقة؛ فقد كنت أرى هذه الأعضاء الداخلية في كل مرة يقف فيها أحد المورجور بيني وبين ضوء ساطع. كان جلدهم، الذي يشبه جلود الكتابة، رقيقًا وشفافًا للغاية، ويمتد بإحكام على أجسامهم. أخطأ العلماء مرةً أخرى. شعرت بالأسى تجاههم؛ فقد أخطأوا لمرات عديدة، وكان عليهم الاعتذار بخنوع. هناك، على سبيل المثال، أولئك

العلماء، الذين تشبثوا بالنظام البطلمي للكون[٢٧]؛ وأولئك الذين جادلوا، بعد أن اكتشف جاليليو أربعة من أقمار المشترى في عام ١٦١٠، بسخافة هذه الاكتشافات المزعومة، وكانت حجتهم أن لدينا سبع فتحات في الرأس – أذنان، وعينان، وفتحتا أنف، وفم – وبالتالي لا يمكن أن يوجد في السماء سوى سبعة كواكب. وبعد أن رفضوا مزاعم جاليليو السخيفة بهذه الطريقة العلمية، تسببوا في إلقائه في السجن.

بدأت السفينة في التباطؤ تدريجيًّا استعدادا للهبوط، عندما أصبحت على مسافة حوالي خمسمائة ألف ميل من المشتري. وبعد ثلاث أو أربع ساعات، دخلنا غلاف السحابة الكثيفة التي تحيط بالكوكب. والآن بالكاد ما تتحرك السفينة زاحفة، بسرعة لا تزيد على ستمائة ميل في الساعة.

كنت متشوقًا لرؤية سطح كوكب المشتري. ونفد صبري من الوقت الذي استغرقته السفينة لعبور الغلاف، حيث لم نستطع رؤية أي شيء على الإطلاق.

اخترقنا الغلاف أخيرًا، ويا له من مشهد انكشف أمام عينيَّ المندهشتين! يكمن عالَم عظيم في أسفل، يُنيره ضوء أحمر غريب

(٢٧) النظام البطلمي للكون، ويُسمى أيضًا مركزية الأرض، هو النظام الذي وضعه بطليموس (حوالي ١٠٠م – حوالي ١٧٠)، ويعتبر أن كوكب الأرض ثابت ويقع في مركز الكون – المترجمة.

يبدو منبعثًا من السطح الداخلي للسحابة التي تغلفه، ويلقي ببريق وردي فوق جبل، وتل، ووادٍ، وسهل، ومحيط. لم أستطع بأي حال في البداية معرفة ما يتسبب في هذه الإضاءة الشاملة؛ ولكنَّ عينيَّ انتقلتا حاليًا إلى بانوراما رائعة في أسفل، حيث رأيت على مسافة بركانًا هائلًا تتصاعد منه نيران عملاقة إلى ارتفاع يبلغ آلاف الأقدام. وقد علمت لاحقًا أن قُطر فوهة هذا العملاق يبلغ مائة ميل، كما تمتد على طول خط الاستواء في الكوكب سلسلة من تلك المشاعل العملاقة لنحو ثلاثين ألف ميل، بينما يتناثر البعض الآخر على سطح الكوكب بأكمله، بما يمنح الضوء والحرارة إلى عالَم كان سيبدو مظلمًا وباردًا من دونها.

ومع انخفاض السفينة، رأيت ما يبدو أنه المدن، وتقع جميعها على مسافة بعيدة من هذه الفوهات. رأيت في الجو العديد من السفن المماثلة لتلك التي جلبتني من المريخ. كان بعضها صغيرًا جدًّا، وكان البعض الآخر أكبر بكثير من تلك التي أصبحت مألوفة لي. اقتربت منا سفينتان صغيرتان، وأبطأنا إلى درجة التوقف تقريبًا. ومن الواضح أنهما من سفن الدورية. انطلقت بنادق نحونا من عدة كوات. كانت إحدى السفن تقع على مسافة قصيرة منا، وجاءت السفينة الأخرى بجوارنا. رفع قائدنا فتحة في السطح العلوي للسفينة، فوق غرفة التحكم، وأخرج رأسه. وانفتح باب في جانب سفينة الدورية، وظهر ضابط. تبادل الاثنان بضع كلمات؛ ثم قدم قائد سفينة الدورية التحية

وأغلق الباب الذي خرج منه. تحركنا قُدُمًا. حدث ذلك كله على ارتفاع حوالي خمسة آلاف قدم.

نهبط الآن حلزونيًّا ببطء نحو مدينة كبيرة. علمت في ما بعد أنها تغطي مساحة تصل إلى حوالي أربعمائة ميل مربع. كانت مُسورة بالكامل، وأسوارها ومبانيها بلون واحد هو البني الداكن، وكذلك أرصفة الطرق. كانت مدينة كئيبة وبغيضة، وبُنيت بالكامل من الصخور البركانية. لم أرَ داخل حدودها أي علامة على حياة نباتية – لا رقعة من المرج، ولا شجيرة، ولا شجرة؛ لا يوجد لون لتخفيف رتابة البني الكئيب.

كانت المدينة مستطيلة تمامًا، يوجد محور طويل يمتد لحوالي خمسة وعشرين ميلًا، ويبلغ عرضه حوالي ستة عشر ميلًا. وكانت الطرق مستقيمة تمامًا وتبعد عن بعضها بمسافات متساوية، وتقطع المدينة إلى كتل مُربعة متطابقة لا تُعد ولا تحصى. وكانت جميع المباني على شكل مستطيلات مثالية، على الرغم من أنها لم تكن بنفس الحجم أو الارتفاع – وهو الشيء الوحيد الذي يكسر الرتابة المُحبِطة في هذه المدينة القاتمة.

حسنًا، لم تكن الاستثناء الوحيد: فهناك مساحات مفتوحة لا تضم أي بنايات – ربما ميادين أو ساحات للعروض. بيد أنني لم ألحظها إلا عندماهبطنا لمسافة كبيرة فوق المدينة؛ ذلك أنها كانت مرصوفة بنفس الصخور البنية الداكنة. كان مظهر المدينة كئيبًا، مثل مظهر مدينة

سولت لايك[٢٨] من الجو في يوم ملبد بالغيوم في شهر فبراير. كانت الراحة الوحيدة من هذا الشعور الدائم بالكآبة هو الضوء الوردي الذي ساد المشهد: انعكاس لهيب البراكين العظيمة من السطح الداخلي لغلاف السحابة؛ هذا، والنمو الوافر للخضرة الاستوائية وراء أسوار المدينة – نباتات غريبة لا تنمو على كوكب الأرض، ذات ألوان غريبة غير معروفة على كوكب الأرض.

رافقتنا سفينتا الدورية، وهبطنا الآن برفق في مساحة كبيرة مفتوحة بالقرب من وسط المدينة، واستقرت سفينتنا بالقرب من صف من حظائر الطائرات التي تضم العديد من السفن الفضائية المشابهة لسفينتنا.

أحاطنا على الفور فصيل من المحاربين؛ ولدهشتي الكبيرة، رأيت عددًا من البشر يشبهونني كثيرًا من حيث المظهر، إلا أن بشرتهم كانت أرجوانية. كانوا غير مسلحين، وعارين تمامًا باستثناء قطعة قماش تضم شريطًا ضيقًا لتغطية عوراتهم، ولا يرتدون عتادًا مثل ذلك الذي يرتديه المورجور. بمجرد هبوطنا، سحبوا السفينة إلى الحظيرة. كانوا عبيدًا.

لم يتبادل المورجور العائدين وأولئك الذين خرجوا لمقابلة السفينة أي تحية. قدم الضابطان القائدان التحايا لبعضهما، وتبادلا بعض الكلمات العسكرية الروتينية. أعطى قائد سفينتنا اسمه، وكان

(٢٨) عاصمة ولاية يوتا الأمريكية، وأكبر مدنها سكانًا – المترجمة.

هاجليون، ثم اسم سفينته، وذكر أنه عائد من المريخ - وأطلق عليه اسم جاروبوس. ثم كلّف عشرة من رجاله لمرافقته كحراس لنا، أنا ويو دان. أحاطوا بنا، ومشينا من موقع الهبوط في أعقاب هاجليون.

قادنا على طول شارع واسع مليء بالمشاة وحركة المرور. لا يوجد على أرصفة المشاة سوى المورجور؛ بينما يسير الأشخاص ذوي البشرة الأرجوانية في قنوات البالوعات. وهناك العديد من المورجور الذين يمتطون مخلوقات ضخمة ومثيرة للاشمئزاز، ولديها عدد لا نهائي من السيقان. ذكّروني بأم أربع وأربعين ضخمة؛ حيث ترتبط أجسامهم بشكل مماثل، ويبلغ طول كل مفصل حوالي ثماني عشرة بوصة. وكانت رؤوسهم سمكية وقبيحة للغاية، والفكان مُجهزان بالعديد من الأسنان الطويلة الحادة. ومثلها مثل جميع حيوانات المشتري البرية تقريبًا، كما عرفت لاحقًا، كانت ذات حوافر؛ ومن الواضح أن حوافرها أصبحت ضرورية نتيجة وجود مساحات كبيرة من الحمم البركانية المتصلبة على سطح الكوكب، وكذا أجزاء من صخور الحمم البركانية التي تتغلغل في التربة.

كانت بعض المخلوقات تتسم بطول كبير، بحيث يجلس على ظهورها عشرة أو اثنا عشر مورجور. ضم الشارع أيضًا وحوشًا أخرى مخصصة لحمل الأغراض. كانت أشكالها غريبة، غير معروفة في كوكب الأرض. لكني لن أضجرك بوصفها هنا.

تطير فوق الطريق طائرات صغيرة في الاتجاهين. وهكذا يستوعب

الطريق العديد من الناس؛ أناس يتسمون بالغرابة والصرامة، ونادرًا ما يتكلمون، وبقدر ما رأيت لا يضحكون أبدًا. ربما قاموا - كما بدا عليهم بالفعل - من قبور حزينة ليهزوا عظامهم في حياة وهمية في مقبرة مدينة الموتى.

مشيت أنا ويو دان في قناة البالوعة، وبالقرب من كل منا حارس يسير على رصيف المشاة. لم نكن صالحين بما يكفي للسير حيث يسير المورجور! قادنا هاجليون إلى ساحة كبيرة محاطة بمبانٍ كبيرة الحجم، لكنها تفتقر إلى الجمال. كان القليل منها عبارة عن أبراج ترتفع متفاخرة - بعضها قصير وبعض طويل، وكلها قبيحة. بدا أنها بُنيت بطريقة تجعلها قادرة على التحمل على مر العصور.

قادونا إلى أحد هذه المباني، يقف حارس واحد أمام مدخله. تحدث إليه هاجليون. استدعى الحارس ضابطًا من داخل المبنى، وبعدها دخلنا جميعًا. كتبوا أسماءنا وأوصاف كل منا في دفتر كبير. أعطوا هاجليون إيصالًا باستلامنا، وبعد ذلك غادر هو ومرافقنا الأصلي.

أصدر حارسنا الجديد تعليمات إلى العديد من المحاربين الذين كانوا في الغرفة؛ فأسرعوا بأخذنا أسفل دَرَج حلزوني إلى قبو معتم، حيث ألقوا بنا في زنزانة كئيبة. أغلق مرافقونا الباب علينا وغادروا.

* * *

الفصل (٤)

... والسافاتور

على الرغم من أنني كنت أتساءل في كثير من الأحيان عن كوكب المشترى، فلم أكن آمل أبدًا أو أهتم بزيارته بسبب قسوة ظروف ذلك الكوكب العظيم، التي أكدها علماء كوكب الأرض. بيد أنني هنا الآن، والظروف تختلف تمامًا عما وصفه العلماء. مما لا شك فيه أن كتلة المشترى أكبر بكثير من كتلة كوكب الأرض أو المريخ، ومع ذلك شعرت بأن الجاذبية أقل بكثير مما كنت أشعر به على كوكب الأرض؛ بل أقل حتى مما شعرت به على المريخ. أدركت أن هذا يرجع إلى سرعة دوران الكوكب على محوره. قوة الطرد المركزي، التي تميل إلى إلقائي في الفضاء، تفوق بكثير تزايد قوة الجاذبية. لم يسبق لي أن شعرت بخِفة قدميَّ بهذه الطريقة. وكان يأسرني التفكير في الارتفاع والمسافات التي يمكنني قفزها.

وفي حين كانت الزنزانة التي وجدت نفسى فيها كبيرة، فقد حالت دون إجراء أي تجارب للقفز. كانت غرفة كبيرة من صخور الحمم البركانية البنية الباردة. توجد إنارة هزيلة، صادرة عن عدد قليل من الأضواء البيضاء الموضوعة في تجاويف السقف. ويتساقط من وسط أحد الجدران مجرى مائي محدود في تجويف صغير على الأرضية، والفائض يحمله مجرى بالوعة خلال ثقب صغير في جدار الزنزانة النهائي. كما يوجد حصير عشبي على الأرضية، يُشكل الأثاث الوحيد لهذا السجن الكئيب.

تحدثت مع يو دان: «المورجور مضيفون جيدون. فقد أمدونا بالمياه للشرب والاستحمام. وقاموا بتركيب مرافق للصرف الصحي. كما منحونا مكانًا لكي نرقد أو نجلس. وزنزانتنا مضاءة، بقوة. نحن في أمان ضد هجمات أعدائنا. مع ذلك، وبقدر ما يتعلق الأمر بالمورجور، أنا ....».

قاطعني يو دان مُحذِّرًا: «شششش! نحن لسنا وحدنا»، وأومأ برأسه نحو طرف الزنزانة البعيد. نظرتُ، ورأيت لأول مرة ما يبدو رجلًا ممدَّدًا على حصيرة.

وفي الوقت نفسه، نهض المخلوق وجاء نحونا. كان رجلًا بالفعل. قال: «لا داعيَ للخوف مني. قل ما يحلو لك عن المورجور. ربما لا يمكنك أن تتصور أيًّا من عبارات الازدراء لوصفهم أكثر

ضراوة من تلك التي دأبتُ أنا على استخدامها لفترة طويلة واعتبرتها غير كافية».

لم يكن مظهر الرجل الجسدي يختلف عن مظهري أو مظهر يو دان إلا في لون بشرته، التي كانت من الأزرق الفاتح. كان جسده شبه عارٍ وخالٍ تمامًا من الشعر، باستثناء شعر ثقيل على رأسه وفي حاجبيه ورموشه. وكان يتحدث بنفس لغة المورجور. كنا نتحدث أنا ويو دان بلغة برسوم العامة، وأدهشني أن الرجل قادر على فهمنا. بقيت أنا ويو دان صامتين للحظات.

قال زميلنا في الزنزانة: «ربما لا تفهمان لغة يوروبوس – هه؟».

قلت: «نحن نفهمها، لكننا فوجئنا بأنك تفهم لغتنا».

ضحك الزميل قائلًا: «لا أفهمها. لكنك ذكرت المورجور، ولذلك عرفت أنكما تتحدثان عنهم. وعندما اكتشف رفيقك وجودي، حذرك أن تصمت. ولذا خمنت أنك كنت تقول شيئًا سلبيًّا عن آسرينا. قل لي، مَن أنتما؟ لستما من المورجور، ولا تشبهوننا نحن السافاتور».

قلت: «نحن من برسوم».

أوضح يو دان: «يُطلق عليه المورجور اسم جاروبوس». قال السافاتوري: «سمعت عنه. إنه عالم يقع أعلى الغيوم بكثير. سوف يغزوه المورجور. واعتقد أنهم أسروكما إما للحصول على معلومات وإما لاحتجازكما كرهائن».

قال يو دان: «للسببين كما أتصور. وأنت، لماذا سجنوك؟».

– اصطدمت بطريق الخطأ بمورجور كان يعبر شارعًا عند تقاطع طرق. ضربني، فأسقطته أرضًا؛ ولذلك سوف أُقتَل في تمارين التخرج الخاصة بالصف التالي.

سألته: «ماذا تعني بذلك؟».

«يتألف تعليم شباب المورجور بالكامل تقريبًا من مواضيع وتمارين مرتبطة بفن الحرب. ولأنه نوع من الاستعراض، حيث يثير شهوة الدم لدى المشاركين والمتفرجين، تنتهي تمارين يوم التخرج بقتال شخصي. ومَنْ يَبْقَ في قيد الحياة من فصل التخرج، يُجندْ في فئة مُحارب – أعلى فئة بين المورجور. أما الفن والأدب والعلم، فينظر إليهم المورجور بازدراء، إلا في ما يتصل بعلاقتهم بالحرب. ولم يبقَ الفن والأدب والعلم حيًّا في يوروبوس إلا من خلال جهودنا، نحن السافاتور؛ ما أدى، مع الأسف، إلى إهمالنا الإعداد والتدريب العسكري الهجومي. ولأننا شعب محب للسلام، فإننا نتسلح فقط من أجل الدفاع»، ابتسم بحزن وهز كتفيه قائلًا: «لكن الانتصار في الحروب لا يتحقق بأساليب دفاعية».

قال يو دان: «أخبرنا بالمزيد عن تمارين التخرج، فالفكرة مثيرة للاهتمام. مع مَن يتنافس الصف المتخرج؟».

أجاب السافاتوري: «مع المجرمين والعبيد. ومعظمهم رجال من عِرقي»، ثم أضاف: «على رغم من أنه يوجد أحيانًا بعض أسوأ أنواع

المجرمين من المورجور، الذين يُحكم عليهم بالموت بهذه الطريقة. فمن المفترض أن أشد طرق الموت خزيًا لأي مورجور أن يموت وهو يقاتل أفرادًا من مرتبة أدنى، ليست من نفس نوعه».

صحتُ: «أفراد من مرتبة أدنى! هل يعتبرونكم المورجور من مرتبة أدنى؟».

– يعتبروننا أعلى بمجرد درجة من الوحوش الغبية، وإنما نتحمل مسؤولية أفعالنا؛ لأننا من المفترض نستطيع التفرقة بين الصواب والخطأ – والخطأ هو أي كلمة أو فعل أو تعبير للوجه ينتقد سلبًا أي شيء يخص المورجور، أو يمكن تحريفه إلى أفعال أو إيماءات هدامة.

سألته: «ولنفترض أنك نجوت في مسابقة التخرج، هل يطلقون سراحك؟».

أجاب: «من الناحية النظرية، نعم. ولكن في الممارسة، أبدًا».

سأله يو دان: «هل تعني أنهم لا يحترمون الشروط التي وضعوها؟».

ضحك السافاتوري قائلًا: «إنهم بلا شرف على الإطلاق. بيد أنني لا أعرف أنهم لن يطلقوا سراح شخص نجا من القتال؛ فبقدر ما أعرف، لم يَنْجُ أحد قبل. وللعلم، يفوق عدد أعضاء الصف عدد خصومهم، اثنان إلى واحد».

أعطاني هذا الكلام تقديرًا لشخصية المورجور أقل مما استنتجته

بالفعل من ملاحظتي لهم. ليس من غير المألوف أن يتفوق شعب محب للحرب في الفروسية والشعور بالشرف؛ وإنما عندما تخضع جميع الخصائص الأخرى للوحشية، تضمر الغرائز الإنسانية الرفيعة وتختفي.

جلسنا صامتين لبعض الوقت. كسر السافاتوري الصمت قائلًا: «لا أعرف أسماءكم. اسمي زان دار».

أخبرته بأسمائنا، وبعدها جاء فصيل من المحاربين المورجور إلى زنزانتنا وأمرانا، أنا ويو دان، بمرافقتهم. قال زان دان: «وداعًا! من المحتمل ألا نلتقي مرة أخرى».

حذره أحد المحاربين: «اخرس، أيها الشيء!».

غمز لي زان دار وضحك. غضب المورجور، وقال هادرًا: «صمتًا، يا مخلوق!». تصورت للحظة أنه سيضرب زان دار بسيفه، لكن المسؤول عن الفصيل أمره بالخروج من الزنزانة. كان هذا الحادث مجرد دليل آخر على غطرسة المورجور الأنانية. على أنها ساعدتني على بلورة إعجاب بالسافاتوري، إعجابًا أخذ ينمو منذ أن تحدث إلينا.

قادونا، أنا ويو دار، عبر الساحة إلى مبنى كبير جدًّا، يخضع مدخله لحراسة مشددة. كانت رؤوس المحاربين البشعة المتجهمة والشبيهة بالجماجم، وأطرافهم وأجسادهم العظمية، جنبًا إلى جنب المدخل الكهفي المظلم للمبنى، توحي بفانتازيا مروعة لمدخل الجحيم الذي

يحرسه موتى متعفنون. لم تكن فكرة سارة.

احتجزونا هنا لبعض الوقت، حيث تناقش معنا بعض المحاربين على نحو يماثل مناقشة شخص لاثنين من قطط الشارع الضالة. قال أحدهم: «إنهم مثل السافاتور، ومع ذلك يختلفون عنهم».

وقال آخر: «إنهم بشعون للغاية».

- بشرة أحدهما أغمق من بشرة الآخر.

أدهشني الآن، للمرة الأولى، لون هؤلاء المورجور. كان ورديًّا أو بظل وردي، بدلًا من أن يكون بلون العاج. نظرت إلى يو دان، وجدتُ بشرته باللون الأحمر الداكن. ألقيت نظرة سريعة على ذراعي ويدي، كانوا أيضًا باللون الأحمر الداكن؛ وإنما لم يكن داكنًا مثل بشرة يو دان. تحيرت في البداية؛ ثم أدركت أن انعكاس وهج البراكين الأحمر من السطح الداخلي للغلاف السحابي قد حوّل بشرتنا إلى لون أحمر أغمق، وجعل بشرة المورجور الصفراء تبدو وردية. وعندما نظرت حولي، أدركت أن هذه المسحة الضاربة إلى الحُمرة ظهرت على كل شيء على مرمى البصر. ذكّرني ذلك ببيت شعري لأغنية شعبية سمعتها منذ فترة، في إحدى زياراتي لكوكب الأرض. أعتقد أنها تقول: «أنا أنظر إلى العالم خلال نظارات وردية اللون، وأصبح كل شيء ورديًّا الآن». حسنًا، لم يكن كل شيء ورديًّا معي، مهما بدا هذا العالم ورديًّا.

جاء ضابط الآن إلى المدخل وأمر مُرافِقنا بإحضارنا. كان الجزء

الداخلي من المبنى قبيحًا، مثله مثل شكله الخارجي. وعلى الرغم من أن هذا المبنى كان القصر الرئيس لحاكم الموجور، كما علمت لاحقًا، فلم يشتمل على أي نوع من الزخرفة. لا توجد أي فنون تخفف من قسوة الممرات الكئيبة ذات اللون البني البركاني، والغرف المستطيلة الفارغة. ولا توجد ستائر تخفف الحواف الحادة للفتحات. ولا يوجد سجاد يخفي حتى ذلك الجزء من الأرضيات البنية العارية. وألقت الجدران الخالية من الصور بتجهمها علينا. نادرًا ما شهدت بيئة أكثر كآبة. حتى الحُفُر التي تقع أسفل المدن المهجورة في برسوم تضم غالبًا سقوفًا مقببة مثيرة للاهتمام، ومداخل مقوسة، وشوايات حديدية قديمة، تشهد على الحساسية الفنية لمُصمميها. أما المورجور، فكانوا مثل الموت، من دون أي فنون.

قادونا إلى غرفة كبيرة، حيث تجمع عدد من المورجور حول مكتب يجلس عليه مخلوق آخر. يبدو جميع المورجور متشابهين إلى حد كبير بالنسبة لي، على أن ملامح وجوههم وأجسامهم الفردية تختلف. ولذلك تعرفت على هاجليون من بين الذين يقفون حول المكتب. كان هاجليون هو قائد السفينة التي أحضرتني من المريخ.

أوقفونا، أنا ويو دان، على مسافة من المجموعة، ثم أحضروا اثنين آخرين من المريخيين الحُمر إلى الغرفة، رجلًا وفتاة. كانت الفتاة جميلة جدًّا.

صاح يو دان: «فاجا!»، لكني لم أكن بحاجة إلى هذا الدليل لمعرفة مَن هي. وكنت على يقين من أن الرجل هو مولتيس بار، أمير زور. بدا عصبيًّا ومكتئبًا، وحتى مع ذلك ظهرت على ملامح وجهه بثبات غطرسته الطبيعية.

بعد صياح يو دان، همس أحد حراسنا: «صمتًا أيها الشيء!». اتسعت أعين فاجا غير مُصدقة عندما تعرفت على رفيقي، واتخذت خطوة متهورة نحوه، لكن محاربًا أمسك بذراعها ومنعها. مس ظل خافت لابتسامة خبيثة شفتي مولتيس بار الرفيعتين.

أصدر الرجل الجالس على المكتب أمرًا، وبعدها قادونا نحن الأربعة أمامه. لم يختلف مظهر الزميل عن المورجور. لم يكن يرتدي أي حلي، وعتاده وأسلحته عادية تمامًا، ومن الواضح أنها صالحة للاستخدام. وكانت عليها علامات هيروغليفية تختلف عن العلامات المماثلة على عتاد وأسلحة المورجور الآخرين، كما تختلف علامات كل شخص من الآخرين عن الباقين. لم أكن أعرف بعد دلالة ذلك؛ لكنني علمت لاحقًا أن كل علامة هيروغليفية تشير إلى اسم ورتبة ولقب الشخص نفسه. كانت الهيروغليفية على عتاد الرجل الجالس على المكتب تشير إلى أنه باندوليان، إمبراطور المورجور.

امتدت فوق المكتب أمام باندوليان خريطة كبيرة، تعرفت عليها فورًا، إنها خريطة برسوم. ومن الواضح أن الرجل وموظفيه كانوا يدرسونها. عندما وقفت مع يو دان وفاجا ومولتيس بار أمام المكتب،

نظر باندوليان إلى أمير زور.

سأله: «مَن الذي يُطلق عليه اسم أمير الحرب في برسوم؟».

أشار مولتيس بار نحوي، فأدار باندوليان أعينه الجوفاء في اتجاهي. بدا الأمر كما لو أن الموت ينظر نحوي ويختارني. قال: «فهمت أن اسمك جون كارتر». أومأت للتأكيد. واصل كلامه: «على الرغم من أنك تنتمي إلى مرتبة أدنى، لا بد أن لديك ذكاء من نوع ما. وأنا أوجه أوامري إلى هذا الذكاء. إنني أنوي غزو برسوم (سماها جاروبوس) وفتحها، وآمرك أن تمدني بكل المساعدة الممكنة من خلال تعريفي وطاقمي بالمعلومات العسكرية التي تمتلكها في ما يتعلق بقوى جاروبوس الرئيسة، وخاصة تلك المعروفة باسم إمبراطورية هيليوم. وفي مقابل هذا، سوف تنجو بحياتك».

نظرت إليه للحظة، ثم ضحكت في وجهه. كست مسحة احمرار خفيفة وجهه الشاحب، وقال هادرًا: «أتجرؤ أن تضحكَ في وجهي أيها الشيء!».

قلت: «هذا هو ردي على طلبك».

استشاط باندوليان غضبًا، وقال آمرًا: «خذوه ودمروه!».

قال مولتيس بار لتنبيهه: «انتظر، باندوليان العظيم! معرفته لا غنى عنها لك، ولديَّ خطة يمكنك من خلالها الاستفادة منه».

سأله باندوليان: «وما هي؟».

– لديه زوجة يحبها حب العبادة. يمكنك القبض عليها، وسيدفع أي ثمن لحمايتها من الأذى.

قلتُ لمولتيس بار: «ليس الثمن الذي طلبه المورجور؛ وإذا أحضروها إلى هنا، فسيكون ذلك بمثابة الختم على قرار موتك».

قاطعني باندوليان: «كفى. خذوهم جميعًا».

«هل أُدمر الشخص الذي يُسمى جون كارتر؟»، سأل الضابط، قائد الفصيل الذي جلبنا إلى القاعة العامة.

أجاب باندوليان: «ليس على الفور».

قال هاجليون: «لقد ضرب واحدًا من المورجور، أحد ضباطي».

فقال باندوليان: «سيموت لهذا السبب أيضًا».

قلت: «سأموت مرتين إذنْ».

قاطعني باندوليان: «خذوه بعيدًا!».

وخلال خروجنا، كانت فاجا ويو دان يحدقان بشوق في بعضهما.

❊ ❊ ❊

الفصل (٥)

سوف أخون

فوجئ زان دار، السافاتوري، بعودتنا إلى الزنزانة بعد وقت قصير. قال: «لم أكن أتوقع، في الواقع، رؤيتكما مرة أخرى. كيف حدث ذلك؟».

شرحت بإيجاز ما حدث في القاعة العامة، وأضفت: «أعادوني إلى الزنزانة لأنتظر الموت».

سأل: «وأنت، يو دان؟»

أجاب يو دان: «لا أعرف لماذا كلف باندوليان نفسه عناء استدعائي إلى هناك؛ فلم يكن لديه أي اهتمام بي».

– تأكدْ أنَّ لديه. ربما يحاول تحطيم معنوياتك بأن يسمح لك برؤية الفتاة التي تحبها، مُعتقدًا أنك سوف تؤثر على جون كارتر لتلبيه مطالبه. كما أن باندوليان ترك جون كارتر حيًّا؛ لأنه يأمل في كسر مقاومته في نهاية المطاف.

مر الوقت بتثاقل في تلك الزنزانة أسفل مدينة المورجور. وما من فارق لو كنا فوق سطح الأرض؛ إذ لا يوجد ليل على كوكب المشترى. هناك نهار دائم. تبعد الشمس بمسافة ٤٨٣ مليون ميلٍ، ولا تلقي على الكوكب سوى ضوء قليل حتى لو تعرض لكامل ضوء النجم الذي يُعد مركز نظامنا الشمسي. لكن هذا الضوء القليل يحجبه غلاف السحابة الكثيفة التي تحيط بهذا العالم البعيد؛ وقدر الضوء القليل الذي يتسرب، تبطل تأثيره المشاعل البركانية العملاقة التي تغمر الكوكب كله بضوء النهار الدائم. وعلى الرغم من أن المشترى يدور على محوره في أقل من عشر ساعات، فإن نهاره ممتد إلى الأبد.

عرفنا، أنا ويو دان، الكثير من الظروف على هذا الكوكب من زان دار. أخبرنا عن البحار الدافئة الشاسعة التي شهدت توترات المد والجزر المستمرة الناجمة عن التغيُّر الدائم لمواضع الأقمار الأربعة الكبرى التي تدور حول كوكب المشترى في ٤٢ ساعة، و٨٥ ساعة، و١٧٢ ساعة، و٤٠٠ ساعة على التوالي، خلال دوران الكوكب على محوره؛ ما يجعل دورته الكاملة تستغرق تسع ساعات و٥٥ دقيقة. وأخبرنا عن قارات شاسعة وجزر هائلة. ويمكنني أن أتخيل وجودها بالفعل؛ إذ يُشير تقدير تقريبي إلى أن مساحة الكوكب تتجاوز ٢٣ مليار ميل مربع.

ونظرًا لأن محور كوكب المشتري يتعامد تقريبًا على مستوى حركته، حيث يبلغ ميله ٣٠ فقط، لا يوجد تنوع كبير في الفصول؛

وبالتالي يسود مناخ متشابه في هذه المنطقة الهائلة، مناخ دافئ ورطب، تُنيره وتدفئه دائمًا البراكين التي لا تُعد ولا تُحصى التي تملأ سطح الكوكب. وهأنذا، المُغامر الذي استكشف عالَمين، محبوس هنا في زنزانة تحت الأرض على أكثر كوكب مدهش وبديع في نظامنا الشمسي بأكمله. يكاد أن يصيبني مس من الجنون.

أخبرنا زان دار أننا نوجد في أكبر قارة بالكوكب. وكانت موطن أجداد المورجور، الذين ظلوا لفترة طويلة يشنون الهجمات العسكرية لإخضاع باقي هذا العالَم. كان على رأس كل بلد من البلدان التي أخضعوها ما يمكن تسميته بالحاكم العام، وقدّم كل حاكم جزية إلى المورجور تتمثل في سلع مُصنّعة، ومواد غذائية، وعبيد. وهناك عدد قليل من المناطق الصغيرة، يعتبرها المورجور ذات قيمة ضئيلة، لا تزال تحتفظ بحريتها وحكوماتها. وقد جاء زان دار من إحدى هذه المناطق، وهي جزيرة نائية تسمى زانور.

وقال: «إنها أرض تتمتع بجبال هائلة، وغابات كثيفة ذات أشجار كبيرة الحجم والارتفاع. وبسبب جبالنا وغاباتنا، يمكننا الدفاع بسهولة ضد الغارات الجوية لأي عدو».

وقد وجدت صعوبة في تصديقه عندما أخبرني بمدى ارتفاع بعض القمم الشاهقة في زانور: يصل ارتفاع ملك جبال زانور المهيب إلى عشرين ميلًا فوق مستوى سطح البحر.

قال زان دار: «أرسل المورجور العديد من الحملات ضدنا. يأتون

ويحصلون على موطئ قدم في أي وادٍ صغير. وهناك، تعلوهم وتحيط بهم الجبال الراسخة المألوفة لنا وغير المعروفة لهم؛ فيصبحون تحت رحمتنا، نتخلص منهم حرفيًّا واحدًا تلو الآخر إلى أن يتقلص عددهم بحيث لا يجرؤون على البقاء. لكنهم يقتلون الكثيرين منا أيضًا، ويأخذون بعضنا كسجناء. أخذوني سجينًا في إحدى غزواتهم. وأعتقد أن بإمكانهم التغلب علينا، إذا جاءوا ومعهم ما يكفي من السفن والرجال. لكن أرضنا لا تستحق هذا الجهد، وأعتقد أنهم يفضلون تركنا كما نحن لأننا نعطي مُجنديهم فرصة التدريب على حرب فعلية».

لا أعرف المدة التي مرت على حبسنا، عندما أحضر ضابط وفصيل من المحاربين مولتيس بار إلى زنزانتنا. لقد جاء لينصحني بالتعاون مع باندوليان.

قال: «إن غزو وإخضاع برسوم مسألة حتمية. ومن خلال مساعدة باندوليان، يمكنك تخفيف رعب الغزو على سكان برسوم. وبذلك سوف تخدم عالَمنا بشكل أفضل بكثير من رفضك بغباء وعناد الالتقاء مع باندوليان في منتصف الطريق».

قلت له: «أنت تهدر وقتك».

صاح: «لكن حياتنا تتوقف على ذلك. سيترتب على رفضك موتنا: أنا، وأنت، ويو دان، وفاجا. يكاد صبر باندوليان أن ينفد». نظر بتوسل إلى يو دان.

ولدهشتي الكبيرة قال يو دان: «لا يمكن أن نموت في سبيل قضية أفضل. يسعدني أن أموت تكفيرًا عن الخطأ الذي ارتكبته في حق جون كارتر».

صاح مولتيس بار بغضب: «أنتما اثنان من الحمقى!».

قلت لتذكيره: «على الأقل لسنا خونة».

قال هادرًا: «سوف تموت يا جون كارتر. لكنك قبل أن تموت، سترى زوجتك في براثن باندوليان. لقد أرسل لإحضارها. والآن إذا غيرت رأيك، أرسل كلمة عن طريق أحد أولئك الذين يأتونكم بوجباتكم».

اندفعتُ إلى الأمام وأوقعت المخلوق أرضًا. كان يجب أن أقتله، حتى لا يجره المورجور إلى خارج الزنزانة.

أرسلوا إذنْ لإحضار ديجاه ثوريس – وأنا عاجز. سوف يتمكنون من إحضارها. كنت أعرف ماذا سيفعلون: سيؤكدون لها أن تعاونها هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُجنبني الموت الفوري. تساءلت ما إذا كانوا سيفوزون. هل سأضحي، في الاختبار الأخير، بأميرتي الحبيبة أو ببلدي بالتبني؟ بصراحة، لا أعرف؛ لكن سأتخذ من يو دان مثالًا لتوجيهي. لقد وضع الوطنية فوق الحب. هل سأفعل؟

مر الوقت متثاقلًا في هذه الزنزانة الكئيبة، التي تخلو من الزمن. وضع ثلاثتنا خططًا عقيمة، لا تُعد ولا تُحصى، للهرب. ابتكرنا بعض الألعاب للمساعدة على تخفيف رتابة وجودنا المُضجر. واستفدنا

كثيرًا، أنا ويو دان، من زان دار في معرفة هذا الكوكب العظيم. وعرف زان دار الكثير مما يكمن وراء غلاف السحب الأبدي الذي يخفي عن نظر سكان كوكب المشتري الشمس، والكواكب الأخرى، والنجوم، وحتى أقمار كوكبهم. كل ما كان يعرفه زان دار هو القليل الذي تمكن من استخلاصه من الملاحظات التي سقطت من المورجور عما شاهدوه من سفنهم العابرة بين الكواكب. كانت معرفتهم بعلم الفلك أقل قليلًا من اهتمامهم، الذي كان منعدمًا عمليًّا، بالموضوع. كانت الحروب والغزوات وسفك الدماء تمثل اهتمامهم الوحيد في الحياة.

تحطمت أخيرًا الرتابة القاتلة في حياتنا، بإحضار سجين جديد إلى الزنزانة معنا. وكان من المورجور! كان الوضع مُحرِجًا. لو انعكس العدد – ثلاثة من المورجور وواحد منا – لما كان هناك أي شك في المعاملة التي سيتلقاها هذا الشخص المنفرد. كان سيُنبَذ ويُستَغل، ومن المحتمل جدًّا أن تُساء معاملته. توقع المورجوري هذا المصير، وتوجه إلى ركن بعيد في الزنزانة وانتظر حدوث ما لديه من أسباب كي يتوقعه. تناقشنا همسًا – أنا، ويو دان، وزان دار – حول هذا الوضع. من المؤكد أنها كانت فترة عصيبة بالنسبة لهذا المورجور. وفي النهاية قرر ثلاثتنا التعامل مع المخلوق ببساطة كزميل سجين، إلى أن يأتي وقت يصبح فيه سلوكه بمثابة مرشدنا النهائي. كان زان دار أول من حطّم الجليد. سأله بطريقة ودية عن سوء الحظ الذي تسبب في حبسه.

اقترب منا، ثم أجاب: «قتلت شخصًا لديه قريب يتمتع بنفوذ في قصر باندوليان. ولذلك سأموت، ربما في تدريبات تخرج الصف التالي. ومما لا شك فيه أننا سنموت جميعًا معًا»، توقف لبرهة ثم قال «ما لم نهرب».

قال زان دار: «سنموت إذنْ».

قال المورجوري: «ربما».

قال زان دار: « لا يهرب المرء من سجون المورجور».

أثارت اهتمامي كلمة «ربما». بدت لي مُحمّلة بتراجع عمدي. عقدت العزم على تشجيع هذا الهيكل العظمي المتحرك؛ فهو لن يضرنا، وقد يقودنا إلى الخير. أخبرته باسمي وأسماء رفاقي، ثم سألته عن اسمه.

أجاب: «اسمي فوريون. لكني لست بحاجة إلى تقديم نفسي لك يا جون كارتر. فقد تقابلنا من قبل. ألم تتعرف عليَّ؟». كان عليَّ أن أعترف أنني لم أتعرف عليه. ضحك فوريون قائلًا: «لقد صفعت وجهك، فضربتي ضربة ألقت بي عبر السفينة. كانت ضربة قوية، وظنوا لفترة طويلة أنني ميت».

قلت: «أووه، أنت واحد ممن قاموا بتعليمي. قد يسعدك أن تعرف أنني سأموت بسبب تلك الضربة».

قال فوريون: «ربما لا». ها هي «ربما» مرة أخرى. ماذا يعني الزميل؟

ولدهشتنا الكبيرة، أثبت فوريون أنه ليس رفيقًا سيئًا على الإطلاق. كان يشعر بمرارة شديدة نحو باندوليان والسلطات القوية التي حكمت عليه بالإعدام، وألقت به في السجن. عرفت منه أن التبجيل والولاء الواضحين اللذين يمنحهما شعبه إلى باندوليان يمثلان كلية نوعًا من الانضباط التنظيمي. من قلبه كان فوريون يكره الرجل بوصفه وحشًا يمتلئ قسوة وطغيان. قال: «يرجع ولاؤنا الظاهر إلى الخوف، والتدريب لعدة أجيال».

وبعد أن أمضى معنا بعض الوقت، قال لي: «لقد تعاملتم معي، أنتم الثلاثة، بلطف شديد. كان يمكنكم أن تحولوا حياتي هنا إلى جحيم؛ ولم أكن لألومكم لأنكم حتمًا تكرهوننا نحن المورجور».

قلت: نحن جميعًا في قارب واحد. لن يفيدنا أن نتقاتل في ما بيننا. وإذا عملنا معًا، ربما...»؛ لقد استخدمت «ربما» التي يستخدمها.

أومأ فوريون برأسه وقال: «كنت أفكر في إمكانية أن نعمل معًا».

سألته: «تحقيقًا لأي هدف؟».

- الهروب.

- هل هذا ممكن؟

- ربما.

كان يو دان وزان دار يستمعان بلهفة. التفت فوريون إلى زان دار، ثم قال: «إذا استطعنا الهرب، فأنتم الثلاثة قد تجدون بلدًا يمكنكم التوجه إليها مع ضمان اللجوء، بينما لا يمكنني إلا أن أتوقع الموت في أي بلد على سطح يوروبوس. إذا كان بإمكانك أن تعدني بالسلامة في بلدك...»، توقف عن الكلام، من الواضح انتظارًا ارد فعل زان دار.

قال زان دار: «لا أستطيع أن أعدك إلا ببذل قصارى جهدي من أجلك. لكنني واثق من أنك إذا كنت وسيلة تحريري واستطعت العودة إلى زانور، فسوف يسمحون لك بالبقاء هناك في أمان».

توقف حديثنا بوصول فيلق من المحاربين. توجه الضابط القائد نحوي وأمرني بالخروج من الزنزانة. إذا فصلوني عن رفاقي، سوف يذوب أمام عيني حلمي بالهرب.

قادوني من المبنى وعبر الساحة إلى قصر باندوليان. وبعد بعض التأخير، وجدت نفسي مرة أخرى في القاعة العامة. من خلف مكتبه، حدقت عينا الطاغية الجوفاء فيَّ من جمجمته المبتسمة. قال باندوليان: «أعطيك فرصتك الأخيرة»؛ ثم التفت إلى أحد ضباطه قائلًا: «أحضر الشخص الآخر». وبعد فترة انتظار قصيرة، انفتح باب على يميني، ودخل حارس من المحاربين ومعه «الشخص الآخر». إنها ديجاه ثوريس! أميرتي ديجاه ثوريس التي لا يضاهيها أحد!

يا لها من مخلوقة جميلة تعبر الأرض محاطة بـالمورجور البشعين. يا لكرامتها المهيبة، ويا للجسارة التي تميز مشيتها وملامحها!

إن لمثلها يجب التضحية حتى بعالَم! أوقفوها على بُعد خطوتين مني. منحتني ابتسامتها شجاعة، وهمست: «كن شجاعًا! أعرف الآن سبب وجودي هنا. لا تضعف. الموت أفضل من العار».

سأل باندوليان: «ماذا قالت؟».

فكرت بسرعة. كنت أعرف أن فرصتي تكمن في أنهم جميعًا لا يفهمون لغة برسوم. ففي ظل غطرستهم الغبية، لن يتنازلوا لإتقان لغة أناس من مرتبة أدنى.

قلت: «إنها تناشدني أن أنقذها». رأيت ديجاه ثوريس تبتسم. من الواضح أنهم علموها لغة المورجور خلال الرحلة الطويلة من المريخ.

قال باندوليان: «من الحكمة أن تفعل ذلك، وإلا سأعطيها إلى مولتيس بار، وبعد ذلك تتعرض إلى التعذيب والتشويه عدة مرات قبل أن أسمح لها بالموت».

ارتجفت وأنا أتأمل مثل هذا المصير لأميرتي، وضعفت مرة أخرى في تلك اللحظة. سألته: «وإذا ساعدتك، هل ستعيدها سالمة إلى هيليوم؟».

أجاب باندوليان: «كلاكما سوف يعود؛ بعد أن أغزو جاروبوس».

همست ديجاه ثوريس: «لا! لا! أفضل الموت بدلًا من العودة إلى هيليوم مع خائن. لا يا جون كارتر، لا يمكن أبدًا أن تخون، حتى لإنقاذ حياتي».

– والتعذيب! والتشويه! سأخون ألف مرة لأنقذكِ من هذا المصير، ويمكنني أن أعدكِ بألا يُلحق بكِ أي خزي: لن أعود أبدًا إلى برسوم».

قالت: «لن يتمكنوا من تعذيبي أو تشويهي؛ إذ خبأت داخل عتادي نصلًا طويلًا ورفيعًا».

فهمت وشعرت بالارتياح. قلت: «حسنًا. إذا كان لنا أن نموت من أجل برسوم، فمثلنا مثل آلاف محاربيها الشجعان الذين ماتوا من أجلها في الماضي؛ لكننا لم نُمت بعد. تذكري ذلك يا أميرتي، ولا تستخدمي هذا النصل الطويل الرفيع على نفسكِ إلا عندما يموت الأمل تمامًا».

قالت: «ما دمت تعيش، سيعيش الأمل».

قال باندوليان: «هيا، هيا. لقد استمعت لفترة طويلة كافية لثرثرتك السخيفة. هل تقبل طلبي؟».

قلت: «أنا أفكر فيه؛ ولكني يجب أن أتحدث قليلًا مع زوجتي».

قاطعني المورجوري: «فلتكن كلمات قليلة».

التفتُّ إلى ديجاه ثوريس وسألتها: «أين يقع سجنكِ؟».

– في الطابق العلوي من برج يقع في الجزء الخلفي من هذا المبنى، عند الزاوية الأقرب للبركان الكبير. ومعي امرأة أخرى من برسوم، فتاة من زور اسمها فاجا.

نفد صبر باندوليان. ضرب مكتبه بقبضة يده في عصبية، والتوى فكّاه معًا بما يشبه الصنجات، وقال هادرًا: «هذا يكفي! ما هو قرارك؟».

أجبت: «تمثل هذه المسألة أهمية كبيرة بالنسبة لي، ولا أستطيع اتخاذ القرار في لحظة. اتركني أعود إلى زنزانتي لأفكر في الأمر وأناقشه مع يو دان؛ حيث يتعلق به أيضًا».

قال بادنوليان آمرًا: «أعيدوه إلى زنزانته». ثم التفت نحوي قائلًا: «سوف أمنحك الوقت، ولكن ليس كثيرًا. لقد نفد صبري».

* * *

الفصل (٦)

الهروب

لم تكن لديَّ خطة. كنت عمليًّا بلا أمل، لكنني فزت على الأقل بمهلة قصيرة لديجاه ثوريس. ربما تعرض وسيلة للهرب نفسها. وبهذه الفكرة الضعيفة، غذيت بذرة الأمل التي تشبثت بها.

اندهش رفاقي في الزنزانة، مع شعورهم بالارتياح، عندما عُدتُ إليهم. أخبرتهم بإيجاز ما حدث في قاعة باندوليان العامة. أظهر يو دان حزنًا حقيقيًّا عندما علم بوقوع ديجاه ثوريس في براثن المورجور، ولعن نفسه على الجزء الذي شارك به وأدى إلى إحضارنا، أنا وهي، إلى وضع نواجه فيه الموت أو العار كبديلين.

قلت: «الندم العقيم لن يفيدنا. لن يخرجنا من هذه الزنزانة، ولن يخرج ديجاه ثوريس وفاجا من برج باندوليان. كفاك تفكيرًا في ذلك، فلدينا أشياء أخرى لا بد من التفكير فيها». ثم التفتُّ إلى فوريون قائلًا: «لقد تحدثت عن إمكانية الهرب. وضح لنا كيف».

لم يكن فوريون معتادًا أن يتحدث إليه بهذه الطريقة الحاسمة أحد ينتمي إلى مرتبة دنيا، كما يعتبرنا المورجور. لكنه ضحك، وأخذ الأمر ببساطة وحسن نية. لا يستطيع المورجور أن يبتسموا؛ إذ يحملون منذ الولادة إلى الموت تلك التكشيرة على رؤوسهم - جامدة، لا تتغير.

قال: «هناك فرصة واحدة. مجرد فرصة بالكاد، وكلمة 'ضئيلة' هو وصف متفائل لها. لكنها إذا فشلت، فلن نكون أسوأ حالًا مما نحن عليه الآن».

قلت: «أخبرنا ما هي».

أوضح قائلًا: «يمكنني فتح قفل باب زنزانتنا. وإذا كان الحظ حليفنا، يمكننا الهرب من هذا المبنى. أعرف طريقًا لا يُستخدم كثيرًا، لأنني كنت لفترة طويلة أحد حراس السجن».

سأله يو دان: «وما فرصنا بمجرد أن نصل إلى شوارع المدينة؟ سيقبضون علينا فورًا، نحن الثلاثة على الأقل».

قال فوريون: «ليس بالضرورة. يوجد بالطرقات العديد من العبيد الذين يشبهون زان دار بالضبط. وبطبيعة الحال، سوف يجذب لون بشرتكم الانتباه يا رجال جاروبوس. لكنها فرصة يجب أن نغتنمها».

تساءل زان دار: «وبعد أن نصل إلى الشوارع؟ ماذا بعد ذلك؟».

- سوف أتظاهر بأنني المسؤول عنكم. سأعاملكم كعبيد، وهذا أمر معتاد، وبالتالي لن تثيروا أي تعليق ولن تجذبوا أي اهتمام لا مبرر

له. لا بد أن أعاملكم بقسوة، لكنكم ستتفهمون. سأقودكم إلى ساحة تضم العديد من السفن الفضائية. وهناك سأخبر الحارس أن لديَّ أوامر بإحضاركم لتنظيف سفينة معينة. لا توجد في هذه الساحة سوى سفن الأغنياء والأقوياء، وأنا على دراية جيدة بسفينة معينة تخص شخصًا نادرًا ما يستخدمها. إذا نجحنا في الوصول إلى هذه السفينة والصعود إليها، لا شيء يمكن أن يمنعنا من الفرار. وفي غضون ساعة من الآن، سنكون في طريقنا إلى زانور – إذا سارت الأمور على ما يرام.

أضفت قائلًا: «إذا أمكننا أخذ فاجا وديجاه ثوريس معنا».

قال فوريون: «لقد نسيتهما. هل ستخاطر بحياتك من أجل امرأتين؟».

«بالتأكيد»، قال يو دان.

هز فوريون كتفيه، وقال: «أنتم مخلوقات غريبة».

– نحن المورجور لا نخاطر بإصبع صغير من أجل عشرة نساء. والسبب الوحيد الذي يجعلنا نتحملهن على الإطلاق هو أننا نحتاجهن لتزويدنا بالمحاربين. أما محاولة إنقاذ الفتاتين، فقد تنتهي بسهولة إلى كارثة بالنسبة لنا جميعًا.

وأضاف: «لكننا سنقوم بالمحاولة». سألتُ السافاتوري: «هل أنت معنا يا زان دار؟».

فقال: «حتى النهاية، مهما كان».

هز فوريون كتفيه مرة أخرى قائلًا، وإن كان بلا حماس: «كما تريدون». بدأ يعمل على فتح القفل، وبعد وقت قصير جدًّا تأرجح الباب مفتوحًا ووصلنا إلى الممر. أغلق فوريون الباب، وأعاد القفل إلى مكانه قائلًا: «هذا سوف يُغذي تكهناتهم».

قادنا على طول الممر في الاتجاه المعاكس الذي أحضرونا منه، والذي استخدمه كل مَن جاء إلى زنزانتنا منذ سجننا. وكلما ابتعدنا في الممر، يصبح مظلمًا ومتربًا. من الواضح أنه لا يُستخدَم كثيرًا. يوجد باب في نهايته، سرعان ما تمكن فوريون من فتح قفله؛ وبعد لحظة وصلنا إلى زقاق ضيق.

كان هروبنا شديد البساطة حتى الآن، بحيث أدركت على الفور أننا سنواجه الأسوأ: فمثل هذا الحظ لا يمكن أن يستمر. حتى الزقاق الذي دخلناه كان مهجورًا: لم يرنا أحد نخرج من السجن. لكن الوضع اختلف تمامًا عندما وصلنا إلى نهاية الزقاق واستدرنا نحو شارع واسع، حيث يوجد العديد من الناس – المورجور على الأرصفة، والعبيد في قنوات البالوعات، ووحوش غريبة تحمل الركاب على الرصيف.

بدأ فوريون الآن في توبيخنا وتكبيلنا خلال سيرنا في المزراب وهو على الرصيف. قادنا إلى اتجاه بعيد عن الساحة المركزية، وأخيرًا إلى طرق يقل تردد الناس عليها، ومع ذلك لا نزال نمر وحولنا الكثير من المورجور. قد يلاحظ أحدهم في أي لحظة لون بشرتي وبشرة يو دان غير المعتادة. نظرت إلى زان دار لأرى ما إذا كان الفرق بين

لون بشرته وبشرتينا مذهلًا، وصُدِمت. كانت بشرة زان دار زرقاء، وأصبحت الآن أرجوانية! استغرق الأمر مني لحظة لأدرك أن هذا التغيير يرجع إلى أن الضوء الوردي لنيران البركان أدى إلى تحويل الأزرق الطبيعي لبشرة زان دار إلى اللون الأرجواني.

قطعنا مسافة صغيرة جدًّا في أمان، ثم نظر نحونا مورجوري بعين الريبة خلال مروره. تركنا نمر أمامه، ثم أسرع إلى فوريون وسأله: «مَن هذان الاثنان؟ إنهما ليسا من السافاتور».

قال فوريون: «كانا مريضين وتغير لونهما». وفوجئت بقدرته على التفكير بهذه السرعة.

سأله الرجل: «حسنًا، مَن أنت؟ وكيف تتولى مسؤولية عبيد وأنت غير مُسلح؟».

نظر فوريون إلى جانبيه وهو يُقلد مَن يُفاجَئ، قائلًا: «ماذا، لا بد أنني نسيت أسلحتي».

قال الرجل: «أعتقد أنك تكذب. تعالوا معي جميعكم».

بدت هنا نهاية آمالنا في الهرب. نظرتُ إلى أنحاء الشارع كافة. يبدو أنه شارع هادئ وسكني. لا يوجد أحد بالقرب منا. استقرت العديد من السفن الفضائية الصغيرة على الرصيف أمام المساكن البنية الكئيبة. هذا كل شيء، لا توجد أعين تتطلع إلينا. اقتربت من الزميل الذي كان سلوكه المتهور يدل على أنه عقبة في طريق إنقاذ ديجاه ثوريس. ضربته مرة واحدة بكل قوتي؛ سقط كقطعة خشب.

صاح فوريون: «لقد قتلته. إنه أحد أكثر ضباط باندوليان ثقة. وإذا قبضوا علينا الآن، سنتعرض للتعذيب حتى الموت».

قلت: «لن يقبض علينا أحد. دعنا نأخذ إحدى هذه السفن التي تقف على الرصيف. لماذا نضيع الوقت ونخوض المخاطر للاستمرار في سيرنا أبعد من ذلك؟».

هز فوريون رأسه، ثم قال: «لن تفيدنا؛ فهي للاستخدام الداخلي فقط. تطير هذه السفن على ارتفاع منخفض، ولن تتخطى حتى سلسلة جبال صغيرة نسبيًّا. والأهم من ذلك، لا يمكن جعلها غير مرئية. يجب أن نذهب إلى الساحة كما خططنا».

قلتُ: «لتجنب مواجهة أخرى مثل تلك التي واجهناها الآن، من الأفضل أن نستخدم إحدى هذه السفن إلى المنطقة المجاورة للساحة على الأقل».

وقال زان دار: «لن يسوء الوضع إذا أضفنا سرقة إلى القتل».

وافق فوريون، وبعد لحظة كنا جميعًا نستقل سفينة صغيرة ونبحر عدة ياردات فوق الشارع. كنت مهتمًّا للغاية، ولاحظت بعناية كل ما فعله فوريون لبدء تشغيل المحرك والسيطرة على الطائرة. كان من الضروري أن أوجه إليه بضعة أسئلة لأتمكن من فهم جيد للتعامل مع السفينة الصغيرة، وكنت على دراية بطائرات عالَمين آخرين. ربما لن تُتاح لي فرصة تشغيل مثل هذه الطائرة، لكن معرفة كيفية تشغيلها لن يضر.

هبطنا بالطائرة على مسافة قصيرة من الساحة، وواصلنا طريقنا سيرًا على الأقدام. وكما توقع فوريون، أوقفنا أحد الحراس واستجوبه. بدا للحظة أن كل شيء معلق في الميزان. كان الحارس متشككًا، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى نفس أسباب تشكك الضابط الذي قتلته؛ التشكك في مهمة فوريون، وحقيقة كونه بلا سلاح. طلب منا الحارس أن ننتظر إلى أن يستدعي ضابطًا. قد تكون المسألة كارثية، فقد شعرت أن الأمر ربما يتطلب أن أقتل هذا الرجل أيضًا، لكنني لا أعرف كيف يمكنني القيام بذلك دون أن يلاحظني أحد؛ فهناك العديد من المورجور في الساحة، على الرغم من عدم وجودهم في محيطنا المباشر.

حل فوريون المأزق. صاح بنبرة ساخطة: «تعال! تعال! لا أستطيع الانتظار هنا طوال اليوم، بينما ترسل لاستدعاء ضابط. أنا في عجلة من أمري. دعني أوجه هؤلاء العبيد للبدء في العمل. وبمقدور الضابط أن يأتي إلى السفينة ويستجوبني، ويمكنه أن يستجوبني هنا». وافق الحارس على ذلك؛ وبعد أن تأكد من اسم وموقع السفينة التي من المفترض أن ننظفها، سمح لنا بالتوجه إليها. تنفست الصعداء. وبعد أن تركناه، قال لنا فوريون إنه أعطاه اسم وموقع سفينة مختلفة عن تلك التي نخطط لسرقتها. لم يكن فوريون أحمقَ.

كانت السفينة التي اختارها فوريون نحيلة، ويبدو أنها صُمِّمت للسرعة. لم نضيع أي وقت وصعدنا إليها. ومرة أخرى شاهدت كل

خطوة قام بها فوريون، وسألته عن كل شيء لم يكن واضحًا تمامًا بالنسبة لي. فعلى الرغم من أنني قضيت ١٨ يومًا على متن إحدى هذه السفن المورجورية، فلم أتعلم شيئًا عن لوحات التحكم فيها؛ فلم يُسمَح لي أبدًا بالدخول إلى غرفة التحكم أو طرح أسئلة.

قام فوريون بداية بمغنطة هيكل السفينة ورشه برمال الإخفاء الناعمة، ثم بدأ تشغيل المحرك وتوجيه مقدمة السفينة بلطف إلى أعلى. كنت قد شرحت له خطتي؛ وبمجرد أن ارتفع قليلًا، توجه إلى قصر باندوليان. ومن خلال عدسة صغيرة في قوس السفينة، انعكس المشهد الأمامي على لوحة زجاجية أرضية؛ تمامًا كما تنعكس صورة على عدسة الكاميرا. كان هناك العديد من هذه العدسات، ورأيت الآن خلال إحداها البرج المُربع في الجزء الخلفي من القصر – البرج الذي يحبسون فيه ديجاه ثوريس وفاجا.

قال فوريون: «عندما أصل بالسفينة إلى النافذة، عليك أن تعمل بسرعة؛ حيث سيكون الجزء الداخلي من السفينة مرئيًّا في اللحظة التي أفتح فيها الباب في هيكلها. وقد يلاحظها أحد في القصر أو على الأرض، وعندئذ ستحاصرنا على الفور سفن الحراسة والدوريات».

قلت: «سأعمل بسرعة».

يجب أن أعترف أنني كنت أكثر حماسًا من المعتاد عندما وصل فوريون بالطائرة بجوار نافذة البرج، ورأيناها مفتوحة على مصراعيها وبدون قضبان. وقف يو دان وزان دار لفتح الباب حتى أتمكن من

القفز خلال النافذة، ثم إغلاقه مباشرة بعد أن أعود إلى متن الطائرة مع الفتاتين. لم أعد قادرًا على رؤية النافذة الآن، بعد أن استقر عندها جانب الطائرة العريض. لكنني، وبكلمة من فوريون ويو دان وزان دار، فتحت الباب. كانت النافذة المفتوحة أمامي، فقفزت من خلالها إلى داخل غرفة البرج.

لحسن حظي، ولحسن حظ لديجاه ثوريس وفاجا، كانت هي الغرفة الصحيحة. كانت الفتاتان هناك، وإنما ليسا بمفردهما. أمسك رجل بديجاه ثوريس بين ذراعيه، وكانت شفتاه تبحثان عن شفتيها، وفاجا تضرب ظهره دون جدوى، وديجاه ثوريس تحاول إبعاد وجهه عن وجهها.

أمسكت الرجل من رقبته وألقيت به عبر الغرفة، ثم أشرت إلى النافذة والسفينة خلفها، وقلت للفتاتين أن يتوجها إليها بأسرع ما يمكن. لم تكن الفتاتان في حاجة إلى دعوة ثانية. وبينما كانتا تركضان عبر الغرفة نحو النافذة، نهض الرجل وواجهني. كان مولتيس بار! وما إن تعرّف عليَّ، حتى شحب وجهه وتحول إلى اللون الأبيض تقريبًا. ثم سحب سيفه، وبدأ يصيح في الوقت نفسه مناديًا على الحرس.

هاجمني عندما رأى أنني غير مسلح. لم أتمكن من الالتفاف والركض إلى النافذة؛ فلو فعلت ذلك، كان سيتمكن من طعني قبل أن أصل إلى النافذة بفترة طويلة. ولذا، قمت بأفضل شيء أمكنني؛ هاجمته مباشرة. من الواضح أن هذا التصرف الانتحاري أربكه،

لأنه تراجع. اندفع نحوي عندما اقتربت منه، لكنني تفاديت الطعنة بساعدي. أمسكت الآن برأس سيفه، وبعد لحظة أغلقت أصابعي على حنجرته. ومثل الأحمق، أسقط سيفه ثم حاول أن يضعف بيديه الاثنين قبضة أصابعي. كان بإمكانه أن يخفف قبضته ويطعنني في القلب، وكان عليَّ أن أغتنم تلك الفرصة.

كان يمكن أن أقضي عليه في لحظة، لو لم ينفتح باب الغرفة، وتدخل دزينة من المحاربين المورجور. أصابني الذهول! بعد أن سار كل شيء بشكل جيد جدًّا، يحدث هذا! هل ستُحبَط كل خططنا؟ لا، ليس كلها.

صحت مخاطبًا يو دان: «أغلق الباب وأذهب! إنه أمر!».

تردد يو دان. وقفت ديجاه ثوريس إلى جانبه وهي تمد إحدى يديها نحوي، وتعبير لا يوصف عن الكرب على وجهها. تقدمت خطوة، كما لو أنها تريد أن تقفز من السفينة إلى الغرفة. سرعان ما وقف يو دان في طريقها، ثم بدأت السفينة تبتعد. انزلق بابها مغلقًا، ومرة أخرى أصبحت السفينة غير مرئية تمامًا.

حدث كل هذا في بضع ثوانٍ، بينما كانت يداي لا تزالان تتشبثان بحلق مولتيس بار، الذي برز لسانه وأخذت عيناه تجحظان كالزجاج. كاد أن يموت بعد لحظة، لكنْ محاربو المورجور هجموا عليَّ وسحبوني بعيدًا عن فريستي.

عاملني الآسرون بقسوة، وربما لأنني أفقدت ثلاثة منهم الوعي –

ليس دون سبب – قبل أن يتغلبوا عليَّ. لو كان لديَّ سيف! ماذا كنت سأفعله معهم إذنْ! وعلى الرغم من أنني تعرضت للضرب والكدمات وهم يدفعونني أسفل البرج، كنت أبتسم؛ لأنني كنت سعيدًا. لقد أنقذت ديجاه ثوريس من براثن رجال الهيكل العظمي، وهي الآن آمنة، مؤقتًا على الأقل. لديَّ إذنْ سبب وجيه للابتهاج.

أخذوني إلى زنزانة صغيرة غير مضاءة، أسفل البرج. وهناك قيدوني وربطوني بالسلاسل إلى الحائط. أغلقوا بابًا ثقيلًا بعد خروجهم، وسمعت صوت دوران مفتاح في قفل ضخم.

❊ ❊ ❊

الفصل (٧)

فولار

في الحبس الانفرادي، الذي لا يخففه حتى بصيص من الضوء، ينصب تفكير المرء كلية على ما يخفف حدة الملل المطلق؛ ذلك الملل الذي يؤدي أحيانًا بأصحاب الإرادة الواهنة والأعصاب الضعيفة إلى الجنون. بيد أن أفكاري كانت سارة. تصورت ديجاه ثوريس متجهة بأمان إلى بلد صديق في سفينة غير مرئية، في مأمن من القبض عليها، وشعرت أن ثلاثة ممن رافقوها سيكونون ودودين بالتأكيد، ومن المتوقع أن أحدهم، وهو يو دان، قد يضحي بحياته لحمايتها إن تطلب الأمر. أما فوريون، فلم أستطع حتى تخمين موقفه تجاهها.

لم يقلقني وضعي كثيرًا. أعترف أنه بدا ميؤوسًا منه إلى حد ما؛ لكني مكثت في أماكن ضيقة من قبل، ونجحت في البقاء حيًّا والهرب. ما زلت أعيش، وما دامت الحياة تنبض في داخلي، لا أتخلى عن الأمل. أنا بطبيعتي متفائل، وأعتقد أن هذا يمنحني حالة ذهنية تقود في كثير من الأحيان إلى ما نسميه عادة فواصل الحياة.

من حسن الحظ أن حبسي لم يستمر طويلًا في تلك الزنزانة المظلمة. نمتُ مرة واحدة، لكني لا أعرف المدة التي نمتها. كنت جائعًا جدًّا عندما جاء فصيل من المحاربين ليأخذني، جائعًا وعطشانًا لأنهم لم يعطوني أي طعام أو ماء خلال فترة حبسي.

لم يأخذوني إلى باندوليان هذه المرة، وإنما إلى أحد ضباطه. كان هيكلًا عظميًّا ضخمًا، يفتح فكيه ويغلقهما باستمرار مع إصدار صوت نهش وطحن. كان المخلوق بمثابة موت متجسد. استنتجت من الطريقة التي استجوبني بها، أنه حتمًا المحقق السامي الأعلى. ألقى إليَّ في صمت نظرة من محجريه، اللذين يبدوان مجوفين، لمدة دقيقة كاملة قبل أن يتكلم. ثم جأر في وجهي.

صاح: «أيها الشيء، أنت تستحق الموت – الموت بعد التعذيب – حتى لأقل شيء قمت به».

قلت: «لا تصرخ في وجهي. أنا لست بأصم».

أثارت عبارتي غضبه، فضرب بيده على مكتبه وقال: «سيصعب وضعك بسبب هذه الوقاحة وعدم الاحترام».

قلت له: «لا يمكنني إظهار الاحترام وأنا لا أشعر بالاحترام. إنني لا أحترم إلا مَن يحترمونني. ولا يمكنني بالتأكيد أن أحترم كيسًا من العظام يتصرف بشكل شرير».

لا أعرف لماذا حاولت إثارة غضبه عمدًا. ربما هي مجرد نقطة ضعفي، أن أستمتع بمضايقة الأعداء الذين أعتقد أنهم حقراء. أعترف

أنها عادة محفوفة بالخطر؛ وربما عادة غبية. لكنني وجدتها تربك العدو أحيانًا وتعطيني ميزة معينة. حققت في هذه الحالة نجاحًا جزئيًّا على الأقل، اشتد غضب المخلوق إلى حد أنه ظل لبعض الوقت عاجزًا عن الكلام؛ ثم قفز واقفًا وسحب سيفه.

كنت في وضع لا أُحسد عليه. أبعد ما يكون عن الحسد. كنت أعْزَلَ، وكان المخلوق الذي يواجهني في حالة غضب لا يمكن السيطرة عليها. بالإضافة إلى هذا كله، تضم الغرفة أربعة أو خمسة مورجور آخرين، يمسك اثنان منهم بذراعي، واحد على كل جانب. كنت عاجزًا كخروف في المسلخ. ولكن عندما وصل جلادي المُحتَمل إلى نهاية مكتبه ليقتلني بنصله، دخل مورجور آخر الغرفة.

أدرك الوافد الجديد الوضع في لمحة، وصاح: «توقف يا جورجوم!». تردد المخلوق الذي كان يتجه نحوي للحظة، ثم أنزل سيفه.

قال جورجوم بوقاحة: «هذا المخلوق يستحق الموت. لقد تحداني وأهانني – وأنا أحد ضباط باندوليان العظيم!».

قال الآخر: «يرجع الانتقام إلى باندوليان، ولديه خطط مختلفة لهذه الدودة الوقحة. ماذا أسفر عنه استجوابك؟».

قلت: «كان مشغولًا بالصراخ في وجهي، ولم يكن لديه وقت لاستجوابي».

قاطعني الوافد الجديد: «صمتًا، أيها المخلوق الأدنى». وقال

لجورجوم: «يمكنني أن أفهم جيدًا أن صبرك قد نفد؛ لكن علينا احترام رغبات باندوليان العظيم. استمر في الاستجواب».

أعاد جورجوم سيفه إلى غمده، وجلس ثانية على مكتبه. سألني: «ما اسمك؟».

أجبت: «جون كارتر، أمير هيليوم». كان كاتب بجوار جورجوم يدون في دفتر كبير. أعتقد أنه كان يسجل السؤال والجواب، واستمر طوال المقابلة بأكملها.

سألني جورجوم: «كيف هربت أنت والمتآمرون الآخرون من الزنزانة التي كنتم محتجزين فيها؟».

أجبت: «من الباب».

– هذا مستحيل. كان الباب موصدًا بعد دخولكم الزنزانة، كما كان موصدًا عند اكتشاف غيابكم.

– إذا كنت تعرف الكثير، لماذا تكلف نفسك بعناء استجوابي؟

تدلى فكي جورجوم بشراسة وقال غاضبًا وهو ينظر نحو الضابط: «أترى يا هورور مدى وقاحة هذا المخلوق».

قال لي هورور: «أجب على سؤال النبيل جورجوم: كيف خرجتم من باب مغلق؟».

– لم يكن مغلقًا.

صرخ جورجوم: «كان مغلقًا».

هززت أكتافي وسألت: «وما الفائدة؟ إنها مضيعة للوقت أن أرد على أسئلة شخص يعرف عن الموضوع أكثر مني، رغم أنه لم يكن موجودًا».

قال هورور بنبرة أقل إزعاجًا: «أخبرني إذنْ، بكلماتك الخاصة، كيف هربت من الزنزانة».

– فتحنا القفل.

قال جورجوم: «هذا مستحيل».

قلت: «إذنْ نحن ما زلنا في الزنزانة. ربما من الأفضل أن تذهب وتلقي نظرة».

قاطعنا هورور: «لن نصل إلى أي شيء».

«على الإطلاق»، قلت موافقًا.

قال هورور: «سوف أستجوب السجين. نحن نُسلّم بأنكم هربتم من الزنزانة».

– هذا ذكاء منك.

تجاهل التعليق. «ولا أرى أن وسيلة هروبكم تمثل أهمية كبيرة. ما نريد معرفته حقًّا هو أين يوجد شركاؤك والسجينتان الآن. يقول مولتيس بار أنهم هربوا في سفينة – ربما إحدى سفننا التي سُرِقت من ساحة الطيران».

– لا أعرف مكانهم.

- هل تعرف إلى أين خططوا للذهاب؟

- لو كنت أعرف، لما أخبرتك.

- آمرك أن تجيبني، أو ستموت متألمًا.

ضحكت على المخلوق. قلت: «أنت تنوي قتلي على أي حال؛ ولذا تهديدك لا يعني أي شيء».

كانت قدرة هورور على السيطرة على أعصابه أفضل بكثير من جورجوم، لكنني رأيته منزعجًا. قال: «يمكنك الحفاظ على حياتك إذا كنت أكثر تعاونًا. لا يطلب منك باندوليان العظيم سوى القليل. أخبرنا إلى أين ينوي شركاؤك الذهاب، وقدم لنا وعدًا بمساعدة باندوليان العظيم في غزوه لهيليوم، وبذلك تنقذ حياتك».

قلت: «لا».

ألح هورور: «انتظر. لن يقف باندوليان عند هذا الحد، بل سيمضي أبعد من ذلك. بعد غزونا لهيليوم، سيسمح لك ولزوجتك بالعودة إلى ذلك البلد، ويعطيك منصبًا رفيعًا في الحكومة الجديدة التي ينوي تشكيلها هناك. وإذا رفضت، سيقتلك؛ ويطارد زوجتك، وأعدك أنه سيجدها. وعندئذ سيكون مصيرها أسوأ بلا حدود من الموت. من الأفضل أن تفكر في الأمر».

- لست بحاجة الى التفكير في مثل هذا العرض. ويمكنني أن أعطيك إجابة نهائية على العرضين - إجابتي النهائية ولا رجعة فيها

هي لا، على الإطلاق!

لو كان لدى هورور شفة، لكان عضها بلا شك. أخذ يتطلع نحوي لدقيقة طويلة، ثم قال: «أحمق!». التفت بعد ذلك إلى جورجوم وقال له: «ضعه مع الذين تحتجزهم للفصل القادم»، ثم غادر الغرفة.

أخذوني إلى مبنى يقع على مسافة من ذلك الذي سُجِنت فيه من قبل، وأدخلوني زنزانة كبيرة تضم حوالي عشرين سجينًا آخر، وجميعهم من السافاتور.

«ماذا لدينا هنا؟»، سأل أحد زملائي السجناء بعد أن غادر مرافقي وأغلق الباب. «لدينا رجل ببشرة حمراء! إنه ليس من السافاتور. ما أنت، أيها الزميل؟».

لم تعجبني نظراته ولا نبرة صوته، ولم أكن أسعى إلى المتاعب مع مَن أُسجَن معهم وربما كان مُقدَّرًا لي أن أموت معهم. ولذلك ابتعدت عنه وجلست على مقعد طويل في جزء آخر من الغرفة، التي كانت كبيرة جدًّا. لكن الأحمق تبعني، ووقف أمامي بطريقة عدوانية.

قال مُهدِّدًا: «لقد سألتك ما أنت. وعندما يوجه إليك فو لار سؤالًا، عليك أن تجيب عليه – وبسرعة. أنا الرجل الأول هنا». ثم نظر إلى الآخرين حوله وسأل: «هذا صحيح، أليس كذلك؟».

صدرت همهمات إيجابية متجهمة. عرفت على الفور أن هذا الزميل لا يحظى بشعبية. بدا رجلًا يتمتع ببنية عضلية قوية؛ ويشهد استقباله لي، كوافد جديد بينهم، على حقيقة أنه الفتوة. ومن الواضح

أنه يثير رعب السجناء الآخرين.

قلت: «يبدو أنك تبحث عن المتاعب، يا لو فار. لكنني لست كذلك؛ لديَّ ما يكفيني منها».

صاح: «اسمي فو لار، يا زميل».

«وما الفارق؟ أنت كريه بأي اسم»، انتبه السجناء الآخرون على الفور، وابتسم بعضهم.

قال فو لار: «يبدو أنني يجب أن أضعك في مكانك»، ثم تقدم نحوي بغضب.

قلت: «لا أريد أي مشكلة معك. السجن سيئ بما يكفي، حتى دون التشاجر مع الزملاء السجناء».

قال فو لار: «من الواضح أنك جبان. لذا لن ألحق بك أي ضرر، إذا ركعت على ركبتيك وطلب عفوي».

ضحكت على كلامه، مما أغضبه؛ ومع ذلك تردد في مهاجمتي. أدركت حينها أنه متنمر نموذجي، ضعيف القلب. مع ذلك، ولحفظ ماء وجهه، ربما يهاجمني إذا لم يتمكن من خداعي. قال: «لا تغضبني. عندما أغضب، لا أسيطر على قوتي. قد أقتلك».

قلت: «أتساءل عما إذا كان هذا يغضبك»، وصفعته على خده بكفي مفتوحة. صفعته بشدة لدرجة أنه كاد أن يسقط. كان بإمكاني صفعه بقوة أكبر. أذهلته الصفعة أكثر من ألمه الجسدي. صعد الدم

إلى وجهه الأزرق، فتحول إلى اللون الأرجواني. كان الجميع ينظرون نحوه. لقد بدأ شيء، وإذا كان له أن يشغل المنصب الذي منحه لنفسه بوصفه الرجل الأول، فعليه أن ينهيه. نهض السجناء الآخرون الآن وشكلوا نصف دائرة حولنا. نظروا بالتناوب نحو فو لار ونحوي في ترقب حماسي.

كان على فو لار أن يفعل شيئًا حيال تلك الصفعة على وجهه؛ فهرع نحوي وضرب بشكل أخرق. أدركت خلال صدّي لضرباته أنه قوي جدًّا، لكنه يفتقر إلى العلم. كما كنت على يقين أنه يفتقر إلى الشجاعة. وعقدت العزم على تلقينه درسًا لن ينساه سريعًا. كان بإمكاني أن أوجه له ضربة، في الثواني الأولى من مواجهتنا، تفقده وعيه، لكنني فضلت اللعب معه.

تصديت لصفعة أخرى على الوجه. عاد ليوجه لي ضربة أقوى، فتجنبتها. ثم صفعته ثانية وإن كانت الصفعة أقسى قليلًا هذه المرة.

صاح أحد السجناء: «عمل جيد!».

صاح آخر: «استمر أيها الرجل الأحمر!».

وصاح ثالث: «اقتله!».

حاول فو لار الإمساك بي، لكنني أمسكت بأحد معصميه، ودفعت يده إلى الخلف، ثم انحنيت فوقه، وألقيت به على كتفي. سقط بقوة على الأرضية المصنوعة من الحمم البركانية، وظل مستلقيًا للحظات.

وبينما كان يحاول الوقوف على قدميه، لففت ذراعي بقوة حول رأسه وألقيته على الأرض ثانية. لم ينهض هذه المرة؛ فرفعته وضربته على ذقنه. سقط مغشيًّا عليه. تركته وابتعدت، وجلست.

تجمع السجناء حولي. رأيت أنهم مسرورون بنتيجة المعركة. قال أحدهم: «لم يحدث هذا لفو لار منذ فترة طويلة».

- حدث له أخيرًا بالتأكيد!

- على أي حال، من أنت؟

- اسمي جون كارتر. أنا من جاروبوس.

قال أحدهم: «لقد سمعت عنك. وأعتقد أننا جميعًا سمعنا عنك. المورجور غاضبون منك لأنك خدعتهم بسهولة. وأتصور أنهم أرسلوك إلى هنا لتموت معنا. اسمي هان دو»، ثم مد يده ليسلم عليَّ. كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها هذه اللفتة الودية منذ مغادرة كوكب الأرض. المريخيون يضعون يدًا على كتفك. مددت يدي إلى يده.

قلت: «أنا سعيد بالتعرف عليك، هان دو. ربما أحتاج إلى صديق، إذا كان هناك الكثير هنا مثل فو لار».

قال هان دو: «لم يعد هناك مثله، لقد انتهى».

قلت: «لقد ألمحت إلى أن جميعكم محكوم عليهم بالموت. هل تعرف متى أو كيف؟».

– عندما يتخرج الصف القادم. سنكون في مواجهة ضعف عددنا من المورجور. وسيحدث هذا قريبًا.

❊ ❊ ❊

الفصل (٨)

في الحلبة

ظل فو لار فاقد الوعي لفترة طويلة. تصورت أنني قتلته. لكنه فتح عينيه في النهاية وأخذ ينظر حوله، ثم جلس، وتحسس رأسه، ودعك فكه. وعندما وجدتني عيناه، نظر إلى الأرض. وقف ببطء وألم على قدميه، وبدأ في التحرك نحو جانب الغرفة البعيد. وعلى الفور أحاط به أربعة أو خمسة من السجناء.

صفعه أحدهم ثم سأله: «مَن الرجل الأول الآن؟». ضربه اثنان آخران. أخذا يدفعانه ويكيلان له الضربات، فتوجهت إليهما ومشيت بينهما وأبعدتهما عنه.

قلت: «دعوه وشأنه. لقد نال ما يكفي من العقاب الآن. وعندما يتعافى، إذا كان أحدكما يرغب في مواجهته، سيكون ذلك على ما يرام. وإنما لا يمكنكم التجمع ضده».

استدار أكبرهم وواجهني، سألني: «ماذا قلت؟».

أجبته: «هذا»، وأسقطه أرضًا.

جلس ونظر نحوي قائلًا: «كنت أسأل فقط»، وابتسم ابتسامة هزيلة؛ ثم ضحك الجميع وانتهى التوتر. تعارفنا بعد ذلك وجلسنا معًا – الجميع، حتى فو لار. ووجدتهم جميعًا رجالًا محترمين. فالسجن الطويل ومعرفتهم أنهم يواجهون الموت قد أنهك أعصابهم؛ لكن ما أعقب ظهوري أدى إلى تصفية الأجواء، بمثل ما تفعل أي عاصفة كهربائية عنيفة. وبعدها، ضحكنا كثيرًا وتحدثنا كثيرًا.

سألت إن كان أحدهم ينتمي إلى نفس بلد زان دار؛ ولكن لم يأتِ أحدهم منهما. يعرف العديدون موقعها، ونقش أحدهم خريطة تقريبية لجزء من المشتري على جدار زنزانتنا حتى يوضح لي أين تقع زانور. وقال: «سوف يساعدك كثيرًا أن تعرف مكانها».

أجبته: «لا يمكن للمرء أن يتوقع ما قد يحدث».

أخبروني بما يجدر توقعه في تدريبات التخرج، وفكرت كثيرًا في الموضوع. لم يكن تفكيري يدور حول حضور حفل تخرج للمورجور وألعب فيه طواعية دور الضحية.

سألتهم: «كم منكم خبير في المبارزة؟».

ادَّعى نصفهم تقريبًا أنهم خبراء، لكن التباهي بالبراعة هو أحد عيوب المقاتلين. ليس بين المقاتلين فقط، وإنما بين العديد من

الرجال، يتفاخر عادة من هم أقل براعة. تمنيت لو كانت لديَّ أي وسيلة لتحديد من منهم جيد حقًّا.

قلت: «لا يمكننا بالطبع الحصول على أي سيوف، ولكن إذا حصلنا على بعض العصي بطول السيف تقريبًا، سرعان ما يمكننا معرفة من هم أفضل المبارزين بيننا».

سأل أحدهم: «وما فائدة ذلك لنا؟».

قلت: «يمكننا أن ننافسهم، ونزيد من صعوبة المعركة عليهم؛ نجعلهم يدفعون ثمن تخرجهم».

قال هان دو: «العبد الذي يجلب لنا طعامنا ينتمي إلى بلدي. وهو زميل جيد، سوف أسأله عندما يأتي».

لم يقل فو لار أي شيء عن قدرته على المبارزة. ونظرًا لما أثبته من أنه متفاخر كبير، شعرت أنه ليس مبارزًا على الإطلاق. أحزنني ذلك؛ لأنه كان إلى حد بعيد الأقوى بين جميع السجناء السافاتوريين، كما كان طويل القامة أيضًا. يمكنه، بقليل من المهارة، أن يثبت أنه مبارز هائل. لم يتفاخر هان دو بأي شيء؛ لكنه قال إن الرجال في بلده يحبون المبارزات كثيرًا، لذا كنت أعتمد عليه.

وأخيرًا استطاع العبد، من بلد هان دو، تهريب قضيبين خشبيين، يقترب طول كل منهما من طول سيف طويل. ذهبت للعمل، للتأكد من كيفية تعامل زملائي السجناء كمبارزين. كان معظمهم يتمتع بقدرة جيدة، وكان عدد قليل منهم ممتازًا، وكان هان دو رائعًا. ولمفاجأة

الجميع، كان فو لار رائعًا. كان تدريبه من أكثر التدريبات التي خضتها مشقة على الإطلاق قبل أن أتمكن من لمسه. واستغرقت مني الإطاحة بسلاحه ما يقرب من ساعة. لقد كان واحدًا من أعظم المبارزين الذين واجهتهم في حياتي.

ابتعد فو لار منذ شجارنا عندما استفزني. نادرًا ما كان يتحدث، وتصورت أنه قد يكون مكتئبًا ويخطط للانتقام. كان يجب أن أعرف موقفه؛ لأنني لا أريد المخاطرة بوجود فرصة للغدر أو حتى التعاون الفاتر.

أخذت فو لار جانبًا بعد مبارزتنا بالعصي الخشبية، وتحدثت معه صراحة. قلت: «خطتي تتطلب أكبر قدر ممكن من المبارزين الجيدين، وأنت واحد من أفضل الذين قابلتهم في حياتي. لكنك قد تعتقد أن لديك سببًا لتكرهني، وبالتالي لست على استعداد لدعمي بالكامل. ولا يمكنني الاستعانة بأي رجل لا يتبعني ويطيعني حتى الموت. ماذا ترى؟».

قال: «سأتبع قيادتك. وها أنا أمد يدي – إذا كنت تقبل الصداقة».

– يسعدني ذلك.

قال ونحن نتصافح: «لو عرفت رجلًا مثلك قبل سنوات، لما أصبحت الأحمق الذي كنت عليه. يمكنك الاعتماد عليَّ إلى آخر قطرة في دمي. وقبل أن نموت، أنا وأنت، سنكون قد علمنا المورجور درسًا لن ينسوه أبدًا. هم يعتقدون أنهم مبارزون عظماء، لكنهم سوف

يتشككون في ذلك بعد مشاهدتهم لمبارزتك. لا أستطيع الانتظار حتى ذلك الوقت».

أثارت كلمات فو لار إعجابي. شعرت أنه صادق، ولكن لم أستطع أن أبعد عن ذهني انطباعي الأول عنه بأنه جبان في داخله بكل معنى الكلمة. وإنما ربما، في مواجهة الموت، يقاتل كما تقاتل الفئران المحاصَرة. وإذا صح ذلك، ولم يفقد رأسه، فسوف يلحق الخراب بالمورجور.

تضم زنزانتنا عشرين شخصًا. لم يعد الوقت يمر متثاقلًا؛ بل أصبح يمر بسرعة في التدريب العملي بالقضيبين الخشبيين اللذين حصلنا عليهما. كنت ومعي هان دو وفو لار نعمل كمدربين، وقمنا بتعليم الآخرين الحيل التي نعرفها في فن المبارزة، إلى أن أصبحنا عشرين مبارزًا ممتازًا. وكان البعض أكثر من ممتاز.

ناقشنا عدة خطط عمل. كنا نعرف أنهم إذا طبقوا العادات المتعارف عليها، فسوف نواجه أربعين طالبًا من شباب المورجور الذين يسعون إلى الفوز والالتحاق بفئة المحاربين. قررنا أن نقاتل في أزواج، بحيث يضم كل زوج واحدًا من أفضل عشرة مبارزين لدينا وواحدًا من أقل عشرة مبارزين كفاءة؛ على أن هذا الاقتران بين الاثنين كان يلي هجمة أولية من جانب أول عشرة، مع زملائنا في الفريق خلفنا عن قرب. وبهذه الطريقة كنا نأمل في القضاء على العديد من المورجور في اللحظات القليلة الأولى من المواجهة، وبالتالي نحد

بدرجة كبيرة من الاحتمالات ضدنا. ربما بالغنا نحن العشرة الأوائل في تقدير براعتنا؛ الزمن وحده هو مَن سيخبرنا.

ساد التوتر بين السجناء، وأعتقد أنه يرجع إلى عدم اليقين حول موعد استدعائنا لمواجهة تلك الصعاب غير المتكافئة. كان كل منا يعرف أن بعضنا سيموت. وإذا نجا أي منا، ليس لدينا سوى شائعة تبرر أملنا في إطلاق سراح الناجين؛ ولم يكن هناك مَن يثق في المورجور. لم يجلب كل موطئ قدم في الممر سوى الصمت إلى الزنزانة، مع كل عين ثابتة على الباب.

أخيرًا، وبعد فترة طويلة، تخففنا من قلقنا: جاءت مجموعة كاملة من المحاربين لمرافقتنا إلى حلبة القتال. ألقيت نظرة سريعة إلى وجوه السجناء، وجدت الكثيرين يبتسمون، ويتنهدون في راحة. شعرت بتشجيع كبير.

قادونا إلى ملعب مستطيل يضم مستويات من المقاعد على كل جانب من جوانبه الأربعة. ازدحمت المدرجات. تحدق الآلاف من الأعين من محاجرها الجوفاء في الجماجم المتجهمة. يبدو كأنه كان يومًا ميدانيًّا في الجحيم. الصمت يرين. لا توجد فِرق، ولا رايات مُحلِّقة، ولا أي لون. أعطونا السيوف وجمعونا في أحد طرفي الملعب. أعطانا مسؤول التعليمات.

«عندما يصل الطلاب العسكريون إلى الملعب، عند طرفه البعيد، عليكم أن تتقدموا وتشتبكوا معهم»، هذا كل شيء.

سألته: «وما الموقف تجاه مَن ينجو منّا؟».

أجاب: «لن يبقى أحد منكم في قيد الحياة أيها المخلوق».

قلت بإصرار: «فهمنا أن الناجين سوف يحصلون على حريتهم».

كرر: «لن يبقى أحد منكم في قيد الحياة».

– هل ترغب في المراهنة بقدر صغير على ذلك؟

«يا لوقاحتك أيها المخلوق». بدأ الرجل يغضب.

سألته: «ولكن، لنفترض أن أحدنا تمكن من النجاة؟».

«في هذه الحالة، سينجو بحياته وسوف يُسمَح له بالاستمرار عبدًا. ولكن، لم يَنْجُ أحد من هذه التدريبات». ثم صاح: «الطلاب في الملعب! اذهبوا إلى موتكم، يا ديدان!».

قلت آمرًا: «إلى مواقعكم يا ديدان!». ضحك السجناء وهم يتخذون مواقعهم المتفق عليها: أول عشرة في خط المواجهة، ويقف كل منهم وخلفه شريكه. كنت بالقرب من منتصف الخط. وكان هان دو وفو لار عند الجناحين. سرنا إلى الأمام في خطوة واحدة، كما تدربنا في زنزانتنا، ويردد الرجال في الصف الخلفي إيقاع الهتاف: «الموت للمورجور!». حافظنا على فواصل ومسافة أكبر قليلًا من طول امتداد الذراع الحامل للسيف والسيف نفسه.

بدا واضحًا أن المورجور لم يروا شيئًا من هذا القبيل في أي تدريب احتفالي سابق؛ لأنني كنت أسمع أصوات اندهاشهم الجوفاء

تصدر من المدرجات؛ كما كان الطلاب الذين يتقدمون لملاقاتنا يبدون في حيرة. انتشروا في أزواج، على صف يمتد طول الطريق تقريبًا عبر الملعب، وفجأة اختل انتظام الصف. وعندما أصبحنا على بعد ٢٥ قدمًا من هذا الصف، أعطيتُ الأمر: «هجووووم!».

ضربنا نحن العشرة مركز صفهم، دون أي احتمالات ضدنا: نشر المورجور صفهم بحيث أصبح رفيعًا للغاية. شاهدوا في تلك الثواني القليلة الأولى فنون المبارزة التي لم يرها أي مورجور من قبل. سقط عشرة من المورجور قتلى أو في حالة احتضار على أرض الملعب، حيث تحرك خمسة من أول عشرة منا نحو اليمين، يليهم شركاؤنا. وتحرك رجالنا العشرة المتبقون إلى اليسار.

ونظرًا لأننا لم نفقد أي رجل في الهجوم الأول، فقد أصبح كل عشرة الآن في مواجهة خمسة عشر من العدو. لم تكن الاحتمالات ضدنا بشدة. كما أن مهاجمة جناحينا لكل نصف من صف المورجور، كما نفعل الآن، أعطانا ميزة كبيرة؛ وكبدناهم خسائر فادحة قبل أن يتمكن المورجور في الأجنحة البعيدة من اتخاذ أي خطوة. وكانت النتيجة أننا نقاتل حاليًا على قدم المساواة تقريبًا، حيث بدأ شركاؤنا يقاتلون الآن.

قاتل المورجور بعزيمة متعصبة. لديهم العديد من المبارزين الرائعين، ولكن لم يكن أي منهم يماثل أيًّا من أول عشرة لدينا. لمحت فو لار عَرَضًا. كان رائعًا. أشك أن أي مبارز من أي من العوالم الثلاثة

التي حاربت عليها كان يمكنه أن يلمس أي منا – أنا أو فو لار أو هان دو – برأس سيفه، كما كان لدينا سبعة آخرون بنفس المهارة تقريبًا.

وفي غضون خمس عشرة دقيقة من بداية الاشتباك، كان كل ما علينا هو القضاء على مَن بقي حيًّا من المورجور. لقد فقدنا عشرة رجال، بينما نجا المبارزون العشرة الأوائل. وعندما سقط آخر مورجور، كاد المرء أن يشعر بصمت الموت الذي خيّم على الجمهور.

تجمع التسعة حولي، وسأل فو لار: «ماذا الآن؟».

سألتهم: «هل منكم من يريد العودة إلى العبودية؟».

هتفت تسعة أصوات: «لا!».

قلت: «نحن أفضل عشرة سيوف على يوروبوس. يمكننا أن نشق طريقنا بالقتال للخروج من المدينة. أنتم تعرفون البلد المجاور، ما فرص تجنب القبض علينا؟».

قال هان دو: «هناك فرصة. توجد غابة قريبة وراء المدينة. وإذا نجحنا في الوصول إليها، قد لا يمكنهم العثور علينا أبدًا».

قلت: «جيد!»، وبدأتُ الهرولة نحو بوابة تقع عند إحدى نهايات الملعب، والتسعة في أعقابي.

وعند البوابة، حاول عدد قليل من الحراس الحمقى إيقافنا. تركناهم خلفنا، موتى. نسمع الآن صيحات غاضبة من الملعب الذي تركناه، وتوقعنا أنه سرعان ما يطاردنا المئات من المورجور.

سألتهم: «مَن يعرف الطريق إلى أقرب بوابة؟».

قال أحد رفاقي: «أنا أعرف. اتبعوني!»، وانطلق راكضًا.

تبعتنا صيحات مطاردينا الغاضبة خلال ركضنا عبر طرق المدينة الموحشة. لكننا سبقناهم بمسافة، ووصلنا أخيرًا إلى إحدى بوابات المدينة. واجهنا هنا أيضًا محاربين مسلحين، أجبرونا على خوض معركة قاسية. زاد ارتفاع صيحات المورجور الذين يطاردوننا. سرعان ما سنفقد كل ما فزنا به. يجب ألا يحدث هذا! ناديت فو لار وهان دو إلى جانبي، وأمرتُ السبعة الباقين أن يفسحوا الطريق؛ فالبوابة كانت ضيقة للسماح بمرور عشرة رجال بسيوفهم.

«سنمر هذه المرة!»، صحت على رفيقيَّ ونحن ندفع الحراس الذين ما زالوا أحياء. ومررنا عبر البوابة. لم تكن لديهم فرصة ضد أفضل ثلاثة مبارزين في ثلاثة عوالم.

يا لها من معجزة؛ فاز عشرة منا بالحرية دون الإصابة بأي شيء أكثر من بعض الخدوش السطحية التي تشير إلى خوضنا لمعركة. لكن عواء المورجور يقترب الآن في أعقابنا. إذا كان هناك أي شيء أكرهه في العوالم الثلاثة، فهو الهرب من عدو. وإنما من الغباء تمامًا أن أسمح لعدة مئات من المورجور الغاضبين باللحاق بي؛ لذا ركضت.

تخلَّى المورجور عن المطاردة قبل أن نصل إلى الغابة. من الواضح أن لديهم خططًا أخرى للقبض علينا. لم نتوقف إلا بعد أن توغلنا في الخُضرة الاستوائية للغابة الكبيرة؛ ثم توقفنا لمناقشة

المستقبل وللراحة، وكنا بحاجة إلى الراحة.

تلك الغابة! أكاد أتردد في وصفها؛ فهي غريبة جدًّا، ولا تشبه أي شيء على كوكب الأرض. الغابة محرومة كليًّا تقريبًا من أشعة الشمس؛ وأوراق الشجر شاحبة شحوب الموت، تصطبغ بلون وردي أينما يتدفق الضوء المنعكس من البراكين النارية. لكن هذا كان، إلى حد بعيد، أقل جوانب غرابتها: ففروع الأشجار تتحرك مثل الكائنات الحية. كانت تتلوى وتلتف كالثعابين حول أشياء لا تُعد ولا تُحصى. بالكاد ما لاحظتهم، إلى أن توقفنا. تدلى أحدهم فجأة ولف نفسه حولي. حاولت مبتسمًا أن أتحرر منه. توقفت عن الابتسام: كنت عاجزًا كرضيع مُحاط بجسد فيل. بدأ الشيء برفعي من الأرض، وعندئذ فقط شاهد هان دو الوضع وقفز ممتشقًا سيفه. أمسك بإحدى ساقيَّ، وقفز في الوقت نفسه إلى أعلى وضرب الفرع بحافة سيفه الحادة، وقطع الفرع الذي التف حولي. سقطنا على الأرض معًا.

صحتُ: «ما هذا الشيطان؟ ما هو؟ ولماذا فعل ذلك؟».

أشار هان دو إلى أعلى. نظرت. رأيت فوقي، في نهاية ساق قوي، زهرًا ضخم- يا له من شيء فظيع! يوجد في وسطه فم كبير مُسلح بالعديد من الأسنان، وتوجد فوق الفم عينان تحدقان، بلا جفون.

قال هان دو: «لقد نسيت أنك لست من يوروبوس. ربما ليس لديك مثل هذه الأشجار في عالمك».

قلت مؤكِّدًا: «ليس لدينا مثلها بالتأكيد. ربما لدينا عدد قليل من

الأشجار التي تأكل الحشرات، مثل نبات خُناق الذباب، ولكن ليس لدينا نباتات تأكل البشر».

حذرني قائلًا: «يجب أن تحذر دائمًا وأنت في إحدى غاباتنا. هذه الأشجار هي حيوانات حية آكلة للحوم. ولديها جهاز عصبي ودماغ، وهناك اعتقاد عام بأن لديها لغة وتتحدث مع بعضها».

انطلقت صرخة بشعة من فوقنا. نظرت إلى أعلى متوقعًا رؤية وحش غريب، وحش فوقي من وحوش كوكب المشتري، لكنني لم أرَ سوى الفروع المتلوّية والأعين المحدقة لأزهار أشجار البشر الضخمة.

ضحك هان دو. وقال: «تنتمي أنظمتهم العصبية إلى رتبة متدنية، وفي المقابل تأتي ردود أفعالهم بطيئة وكسولة. استغرق الأمر كل هذا الوقت ليصل ألم قطع سيفي إلى دماغ الأزهار التي ينتمي إليها ذلك الفرع».

قلت مُعلِّقًا: «لا يأمن الإنسان على حياته للحظة واحدة في مثل هذه الغابة».

أكّد هان دو: «يجب على المرء توخي الحذر باستمرار. إذا اضطررت إلى النوم في الغابة، عليك أن تحيط نفسك ببناء لطخة من الدخان. الأزهار لا تحب الدخان، ولذا تنغلق وبالتالي لا يمكنها الرؤية لمهاجمتك. وإنما تأكد من عدم إفراطك في النوم داخل هذه اللطخة».

لقد تطورت الحياة النباتية على كوكب المشترى، وعمليًّا دون أشعة الشمس، على خطوط مختلفة تمامًا عن تلك الموجودة على كوكب الأرض. فجميع نباتات كوكب المشترى تقريبًا لديها بعض الصفات الحيوانية، وكلها تقريبًا من آكلات اللحوم؛ تلتهم النباتات الصغيرة الحشرات، وتعتمد النباتان الأكبر، بدورها، على حيوانات أكبر في معيشتها، بما يصل إلى آكلات البشر مثل تلك التي واجهتها، وتلك التي قال هان دو إنها أمسكت حتى بالحيوانات الضخمة الموجودة على هذا الكوكب الغريب، والتهمتها.

كلفنا شخصين بالحراسة، وقاما أيضًا بإبقاء اللطخات مشتعلة، ونام بقيتنا. كان بحوزة أحد الرجال جهاز كرونومتر[٢٩]، واستخدمه لإبلاغ الحارسين متى يوقظ من يحل موعد نوبته. وبهذه الطريقة، تناوبنا جميعًا على المراقبة والنوم.

وعندما نام الجميع، زيد احتراق اللطخات واشتعالها، وقطع الرجال الأغصان من الأشجار الحية، ثم قسّموها إلى شرائح للشواء. كان مذاقها يشبه مذاق لحم العجل. تحدثنا عن خططنا للمستقبل، وقررنا أن ننقسم إلى فريقين يضم كل منهما فردين أو ثلاثة، ثم نقترق حتى يتسنى للبعض منا على الأقل أن يحظى بفرصة تجنب إعادة القبض عليه. قالوا إن المورجور سوف يطاردوننا لفترة طويلة. شعرت

(٢٩) كرونومتر: أو الميقات، وهو نوع من الساعات الدقيقة التي يستخدمها البحارون والطيارون – المترجمة.

أن بقاءنا معًا قد يكون أكثر أمانًا؛ لأننا عشرة من المبارزين الأشداء؛ لكن البلدان التي ينتمي إليها رفاقي تتناثر على نطاق واسع، ويرغب كل شخص بطبيعة الحال أن يعود إلى وطنه إن أمكن، ولذا كان من الضروري أن ننفصل.

وقد تصادف أن بلد هان دو تقع في اتجاه زانور العام، ونفس الشيء بالنسبة لبلد فو لار. ولذا ودع ثلاثتنا الآخرين ثم غادرنا. لم أكن أدرك كيف يمكنني الوصول إلى زانور البعيدة في كوكب تبلغ مساحته ٢٣ مليار ميل مربع. وشعر بذلك أيضًا هان دو. لكنني أكدت له أنني لن أتوقف أبدًا عن البحث عن زانور وزوجتي.

❊ ❊ ❊

الفصل (٩)

إلى زانور!

لن أضجرك بسرد أحداث ذلك الجزء من رحلتي الذي أوصلني أخيرًا إلى إحدى مدن بلد هان دو. حافظنا على أكبر قدر ممكن من التغطية؛ فقد كنا نعرف أن المورجور، في حالة استمرار بحثهم عنا، سوف يطيرون على ارتفاع منخفض في سفن غير مرئية. أتاحت لنا الغابات أفضل حماية من الاكتشاف، بيد أننا واجهنا سهولًا واسعة لنعبرها، وأنهارًا لنقطعها سباحة، وجبالًا لنتسلقها.

يصعب حساب الوقت في هذا العالم الخالي من الليل. وبدا لي أن رحلتنا استغرقت عدة أشهر. ظل فو لار معنا لفترة طويلة، لكنه تركنا أخيرًا ليتخذ الاتجاه الذي يُفضي إلى بلده. شعرنا بالأسف لافتقاده، لأنه أصبح رفيقًا رائعًا؛ كما أننا سنفتقد سيفه أيضًا.

لم نقابل أي رجال، إلا أننا واجهنا العديد من الوحوش البرية – مخلوقات بشعة المظهر، ليس لها مثيل على كوكب الأرض، قوية ومفترسة. سرعان ما أدركت عدم كفاية سيوفنا كوسيلة وحيدة للدفاع. ولذا ابتكرنا الرماح من نبات يشبة البامبو يبدو من الخُضراوات تمامًا. كما علّمت هان دو وفو لار كيفية صُنع الأقواس والسهام واستخدامها. وقد وجدناها مفيدة جدًّا في صيد الحيوانات الصغيرة والطيور للغذاء. فقد كنا نقتات في الغابات على لحوم الشجرة البشرية.

وصلنا أخيرًا، أنا وهان دو، إلى محيط. قال: «نحن في الوطن. تقع مدينتي بالقرب من البحر». لم أرَ أي مدينة.

هبطنا من تلال منخفضة، وأخذنا نسير على طول سهل ساحلي ضيق. كان هان دو يسير على مسافة عدة ياردات إلى يميني، عندما اصطدمت فجأة بشيء صلب– صلب كجدار من الطوب؛ وإنما لم يكن هناك شيء! أدى الاصطدام المفاجئ إلى تراجعي. مددت يدي، وشعرت بوجود ما يبدو جدارًا صلبًا يسد طريقي، لكن ما أراه هو مساحة مستوية من الأرض الخالية. بيد أن الأرض لم تكن خالية تمامًا. فقد تناثرت عليها، هنا وهناك، نباتات غريبة: سيقان بسيطة بلا أوراق، يبلغ طولها قدمًا أو قدمين، وتحمل قمتها زهرًا غامضًا.

نظرت حولي ولم أجد هان دو. لقد اختفى! اختفى لتوه مثل فقاعة صابون مثقوبة. لا يوجد على طول الساحل أي مكان يمكن أن يخفيه، ولا يوجد شيء يختفي وراءه، ولا حفرة في الأرض ليسقط فيها. كنت

حائرًا. حككت رأسي في حيرة، وبدأت أتحرك ثانية نحو الشاطئ، وتعثرت مرة أخرى في الجدار الذي لم يكون موجودًا.

وضعت يدي على الحائط الخفي واتبعته. انحنى بعيدًا عني، فتابعته خطوة بخطوة لأستكمل تحرياتي المُثيرة. وجدتني أعود بعد فترة من حيث بدأت. يبدو أنني واجهت برجًا غير مرئي من الهواء الصلب. تحركت في اتجاه جديد نحو الشاطئ، متجنبًا العقبة التي أعاقت طريقي. وبعد عشرات الخطوات واجهت جدارًا خفيًّا آخر؛ فاستسلمت – مؤقتًا على الأقل.

ناديت هان دو بصوت عال، وعلى الفور ظهر على مسافة قصيرة مني. سألته: «أي نوع من الألعاب هذه؟ لقد اصطدمت بجدار من الهواء الصلب، وعندما بحثت عنك لم أجدك في أي مكان، أنت اختفيت».

ضحك هان دو، وقال: «إنني أنسى دائمًا أنك غريب فى هذا العالم. لقد وصلنا إلى المدينة التي أعيش فيها، ودخلت منزلي لأُحيي عائلتي، ولهذا لم تتمكن من رؤيتي». وبينما كان يتحدث، ظهرت امرأة بجانبه وطفل صغير. يبدو أنهما تجسدا من الهواء الرقيق. هل جئت إلى أرض أرواح غير مُجسدة ولديها القدرة على التجسُّد؟ لا أستطيع تصديق ذلك، فلم يكن هناك أي شيء شبحي أو أثيري بشأن هان دو.

قال هان دو: «هذه أوو آلا، زوجتي. وهذا جون كارتر يا أوو آلا، إنه أمير هيليوم. ونحن ندين له بهروبي من المورجور».

مدت أوو آلا يدها لي. كانت يدًا قوية ودافئة من دم ولحم. قالت: «مرحبًا جون كارتر. اعتبر كل ما لدينا ملكك».

كانت لفتة طيبة من حسن الضيافة. لكني، عندما نظرت حولي، لم أر أي شيء. سألت: «أين المدينة؟».

ضحك كلاهما. قالت أوو آلا: «تعال معنا». قادت الطريق، على ما يبدو حول زاوية غير مرئية؛ وهناك، رأيت أمامي مدخلًا مفتوحًا في الهواء الرقيق؛ شاهدت خلاله الجزء الداخلي من غرفة. دعتني أوو آلا: «تعالَ»، وتبعتها إلى شقة دائرية واسعة، ثم تبعنا هان دو وأغلق الباب. كان سقف الشقة عبارة عن قبة ترتفع في الوسط إلى عشرين قدمًا؛ ومقسمة إلى أربع غرف عن طريق ستائر منزلقة، يمكن إغلاقها أو سحبها على الحائط.

سألت: «لماذا لم أتمكن من رؤية المنزل من الخارج؟».

أوضح هان دو: «إنه مُغطًّى من الخارج برمال الإخفاء التي نجدها بكميات كبيرة على طول الشاطئ. هذه هي حمايتنا الوحيدة ضد المورجور. كل منزل في المدينة محمي بهذه الطريقة، ما يزيد قليلًا عن خمسمائة منزل».

لقد دخلت إذنْ إلى مدينة تضم خمسمائة منزل، ولم أرَ سوى مساحة شاسعة من شاطئ مفتوح بجوار بحر لا يهدأ. سألت: «ولكن، أين الناس؟ هل هم أيضًا غير مرئيين؟».

أوضحت أوو آلا: «يبقى في المنزل كل مَن ليس في الخارج،

لصيد الحيوانات أو السمك. نحن لا نغامر بالخروج إلا للضرورة، فربما يبحر المورجور في سفنهم الفضائية غير المرئية ويشاهدوننا، وبالتالي يكتشفون مدينتنا».

وقال هان دو: «وإذا ألقوا القبض على أي منا، عليه أن يهرب بعيدًا عن المدينة بأسرع ما يمكن؛ لأنه لو دخل منزلًا، سيعرف المورجور على الفور بوجود مدينة هنا. إنها التضحية التي يجب على كل منا أن يقدمها بشرف من أجل سلامة الجميع؛ لأنهم يقبضون في الأغلب دائمًا على كل مَن يركض ويأخذونه، ما لم يختر القتال والموت».

قلت لهان دو: «أخبرني، كيف وجدت منزلك وأنت غير قادر على رؤيته أو رؤية أي منزل آخر».

سألني: «هل لاحظت نباتات الأومبالا[٣٠] التي تنمو في جميع أنحاء المدينة؟».

– لاحظت بعض النباتات، لكنني لم أرَ أي مدينة.

ضحك كلاهما مرة أخرى. قالت أوو آلا: «لقد اعتدنا على ذلك، بحيث لا يبدو غريبًا على الإطلاق بالنسبة لنا؛ لكنني أفهم تمامًا أنه قد يُعد مُربِكًا للغاية لشخص غريب. كل نبات يحدد موقع منزل. وقد تعلّم كل منا، خلال خبرة طويلة، الموقع الدقيق لكل منزل في المدينة

(٣٠) أومبالا: نبات ينمو على كوكب المشترى، يستخدمه السافاتور لتمييز منازلهم غير المرئية. يبلغ طول النبات من قدم إلى قدمين، وبلا أوراق، ولديه زهرة غريبة الشكل – https://barsoom.fandom.com/wiki/Umpalla – المترجمة.

في علاقته بكل منزل آخر».

بقيت حوالي خمسة أو ستة أيام، بزمن كوكب الأرض، في منزل هان دو وأوو آلا. التقيت بالعديد من أصدقائهم، وكان الجميع كريمًا ومتعاونًا معي بأقصى ما يمكنهم. زودوني بخرائط لمناطق كبيرة من الكوكب، وقيل لي إن أجزاء منها لا تزال غير مستكشَفة حتى من جانب المورجور. أهم شيء في هذه الخرائط أن زانور ظهرت في إحداها، كما ظهر أيضًا محيط شاسع يقع بيني وبين البلد الذي أعتقد أنني سأجد فيه ديجاه ثوريس. لا يوجد لديَّ أو لدى أصدقائي الجدد تصور لكيفية عبور هذا المحيط، غير خطة مجنونة تصورتها لبناء قارب شراعي والثقة في نزواتي المجنونة في بحر غير معروف، وربما تحتشد فيه زواحف خطرة. لكن هذا ما قررته أخيرًا، حيث كان الأمل الوحيد الباقي للم شملي مع أميرتي.

توجد غابة على بُعد عدة أميال، على طول الساحل من المدينة، حيث آمل أن أجد الأشجار المناسبة لبناء قاربي. حاول أصدقائي قصارى جهدهم لإقناعي بعدم القيام بذلك؛ وعندما وجدوا أنني مصمم على تنفيذ خطتي، أقرضوني الأدوات. كما تتطوع عشرات منهم لمرافقتي إلى الغابة ومساعدتي في بناء القارب.

وأخيرًا أصبح كل شيء جاهزًا. خرجت من منزل هان دو، بصحبة مساعدي المتطوعين، لبدء المسيرة القصيرة إلى الغابة.

وما إن وصلنا إلى العراء حتى صاح أحد رفاقي: «المورجور»؛

وعندئذ تفرق السافاتور في جميع الاتجاهات بعيدًا عن مدينتهم.

صاح هان دو: «اركض، جون كارتر!»، لكنني لم أركض.

رأيت، على بعد أمتار قليلة، المدخل المفتوح في جانب سفينة غير مرئية. كما رأيت ستة أو سبعة مورجور يخرجون منه. اندفع اثنان نحوي، وتفرق الآخرون سعيًا لمطاردة السافاتور. وفي تلك اللحظة، ومضت خطة جديدة في ذهني. عادت الحياة إلى الأمل ثانية، بعد أن كان قد انقرض.

سحبت سيفي من غمده، وقفزت إلى الأمام لمواجهة أول مورجور؛ شاكرًا الرب أنهما اثنان فقط؛ لأن أي تأخير قد يدمر آمالي بسهولة. لم أتهاون في هجومي: كان قتالًا صارخًا ووحشيًّا؛ ولم يؤنبني ضميري وأنا أسحب سيفي من قلب المورغور الأول لأواجه الثاني.

أتعبني الزميل الثاني قليلًا، حيث توخى الحذر من مصير رفيقه؛ كما أنه تعرّف عليَّ الآن، مما جعله يُضاعف حذره. بدأ يصرخ مناديًا الآخرين، الذين كانوا يلاحقون السافاتور، ليعودوا لمساعدته. وكان هذا المخلوق الصارخ من جاروبوس هو مَن قاد المذبحة في تدريبات التخرج. رأيت من زاوية عيني اثنين منهم يأتون بعد أن سمعاه. يجب أن أسرع!

يقاتل الزميل الآن في وضع دفاعي بالكامل، بغية كسب الوقت حتى يصل الآخران وينضما إليه. لم أكن على استعداد للسماح بذلك؛

فضغطتُ عليه بقوة، كاشفًا نفسي في كثير من الأحيان – أي مبارز عظيم يمكنه قتلي بسهولة. وأخيرًا أصبته بجرح هائل كاد يفصل رأسه عن جسده. وبعد مجرد لمحة سريعة ورائي لأرى مدى اقتراب الآخرين، قفزت نحو مدخل السفينة غير المرئية المفتوح، مع اقتراب أحد المورجور خلفي.

قفزت إلى متن السفينة، وسيفي لا يزال في يدي، وأغلقت الباب خلفي. استدرت بسرعة لمواجهة أي من زملائهم الذين تركوهم على متن السفينة لحراستها. بيد أن هؤلاء الحمقى لم يتركوا أحدًا. كانت السفينة كلها لي. وبينما أسرع إلى لوحات التحكم، سمعت المورجور يضربون على الباب، ويطالبونني غاضبين أن أفتحه. لا بد أنهم يتصورون أنني أحمق أيضًا.

ارتفعت السفينة في الهواء بعد لحظة، وبدأت واحدة من أغرب مغامرات حياتي؛ الإبحار في كوكب غير معروف، في سفينة غير مرئية. كان أمامي الكثير لأتعلمه عن الملاحة في كوكب المشترى. تعلمت من خلال مشاهدة فوريون كيفية بدء وإيقاف سفينة المورجور وتحريكها، وكيفية اكتساب أو فقدان الارتفاع، وكيفية تحويل السفينة إلى وضع الخفاء. لكن الأجهزة الموجودة أمامي على اللوح كانت كلها بلا معنى بالنسبة لي؛ فحروف هيروغليفية المورجور كانت غير مفهومة على الإطلاق. يجب أن أكتشف كل شيء بنفسي.

فتحت جميع نوافذ السفينة، وأصبح مجال الرؤية أمامي واضحًا. رأيت الشاطئ الذي تركته للتو، وعرفت اتجاه خط الساحل. كان هان دو قد شرح لي أن خط الساحل يتجه شمالًا وجنوبًا عند تلك النقطة. ويقع المحيط في الغرب منه. وجدت أداة قد تكون ببساطة بوصلة. وعندما غيرت مسار السفينة، رأيت أنها البوصلة. أصبحت الاتجاهات أكثر وضوحًا الآن، بما يُمَكِنُني من تحديد الطريق. استشرت خريطتي، واكتشفت أن زانور تقع تحديدًا في اتجاه جنوب شرق؛ فأدرت مقدمة سفينتي عبر تلك المساحة الشاسعة من المحيط.

لقد تحررت. هربت من المورجور سالمًا. وديجاه ثوريس آمنة في زانور بين الأصدقاء. وما من شك أنني سألحق بها قريبًا. لقد شهدنا مغامرة مذهلة أخرى، وسرعان ما نجتمع ثانية. لم يكن لديَّ أدنى شك في قدرتي على الوصول إلى زانور. ربما لأنني أثق دائمًا في نفسي، لدرجة أنني كثيرًا ما أنجز ما يبدو مستحيلًا.

لا أعرف قدر الوقت الذي يستغرقه عبور ذلك المحيط الكئيب. لم أتمكن من قياس الوقت، مع دوران كوكب المشترى حول محوره بسرعة تقترب من ثلاثة أضعاف سرعة دوران كوكب الأرض حول محوره، مع غياب الشمس والقمر، وحتى النجوم.

لم أرَ أي سفينة فوق تلك المساحة الشاسعة من الماء، لكنني رأيت الحياة – الكثير منها. ورأيت عواصف رهيبة ضربت سفينتي وتقاذفتها كالريشة. لكن ذلك لم يكن شيئًا مقارنة بما رأيته تحتي،

عندما ضربت العواصف في ذروة غضبها سطح المياه. أدركت حينها أن محاولتي لعبور ذلك المحيط الرهيب في الزورق الضعيف الذي خططت لبنائه، كانت فكرة انتحارية. رأيت موجات لا بد أن ارتفاعها وصل إلى ٢٠٠ قدم من جوف الموجة إلى قمتها - موجات ألقت الوحوش الجبارة من الأعماق كما لو كانت أسماك صغيرة. لا يمكن أن تعيش أي سفينة في مثل هذه البحار. أدركت عندئذ لماذا لم أشهد أي سفن في هذا المحيط الجبار على كوكب المشتري.

وأخيرًا رأيت أرضًا أمامي - وأي أرض! أخبرني زان دار عن جبال زانور الجبارة التي ترتفع رؤوس غاباتها لعشرين ميلًا فوق مستوى سطح البحر، وكانت هذه الجبال هي التي تقع أمامي. إذا كانت حساباتي دقيقة، فلا بد أن هذه هي زانور؛ وتؤكد هذه الجبال المذهلة أنني لم أخطئ.

عرفت من شرح زان دار أين يمكنني البحث عن أراضي قبيلته - وهي قبيلة جبلية وحشية من المقاتلين، وتقع في أرض من المروج والوديان فوق المنحدر الشرقي لأعلى جبل، وعلى ارتفاع يصل إلى حوالي عشرة أميال فقط، أو عند حوالي منتصف الطريق إلى القمة. هنا الهواء أرق قليلًا فقط مما كان عليه عند مستوى سطح البحر، حيث يحتفظ الغلاف السحابي بجو كوكب المشتري كما لو كان محبوسًا في حقيبة لا تسمح بهروب أي شيء منها، بينما يميل دوران الكوكب بسرعة إلى إبعاد الغلاف الجوي عن السطح.

كنت محظوظًا لوصولي إلى قرية زان دار دون صعوبة تُذكر. طرت فوق القرية غير مرئي على الإطلاق، وأخذت أهبط بطيئًا. أعرف أنهم بمجرد رؤية سفينة مورجور، سيختفون في الغابات المحيطة بالقرية، انتظارًا للانقضاض على أي مورجور قد يتسم بما يكفي من غباء لترك السفينة تُعدل هبوطها.

رأيت أناسًا في القرية، عندما انخفضت إلى مسافة خمسين قدمًا من الأرض. أوقفت السفينة وأبقيتها على هذا الارتفاع، ثم أزلت المغناطيسية عن هيكلها. أصبحت السفينة مرئية على الفور، فقفزت نحو الباب وفتحته حتى يروا أنني لست من المورجور. لوحت لهم، وصحت أنني صديق لزان دار، وطلبت الإذن بالهبوط.

وافقوا، وانخفضت بالسفينة ببطء نحو الأرض. انتهت الرحلة التي خضتها وحيدًا. لقد تغلبت على عقبات كانت تبدو مستحيلة، ووصلت إلى هدفي. وسرعان ما أضم ديجاه ثوريس، التي لا تُضاهى، بين ذراعيَّ مرة أخرى.

❊ ❊ ❊